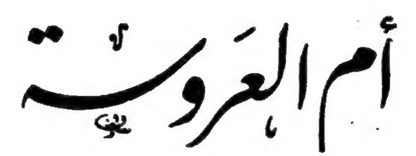

أم العروسة
عبد الحميد جوده السحار

أم العروبة

مطبوعات مكتبة مصر



أم العروسة

تأليف

عبد الحميد جوده السحار

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي الفجالة
سعيد جوده السحار وشركاه

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقي

الفصل الأول

تردد رنين الجرس الخارجى فى أرجاء الشقة . ففتح حسين عينيه فوقعتا على زوجته زينب ، الراقدة الى جواره تغط فى نومها ، وتتابع الرنين فأزاح الغطاء بعيدا عنه وهو ينهض ، فرأى ابنته هالة تتمطى فى سريرها الصغير ، الملتصق بسريرهما من جانب زينب ، فخشى أن يوقظها ذلك الرنين المتواصل ، فهب مسرعا وانطلق حافى القدمين الى المطبخ والتقط وعاء اللبن واتجه الى باب الشقة وهو يهرول .

انفرج الباب عن فتحة تكاد تسمح بمرور الوعاء ، ومد يده به ، وهو يخفى وجهه عن بائع اللبن ، فقد أحس أن شعره منفوش ، وعينيه ما زالتا منتفختين من أثر النوم ، وأن البيجاما التى يرتديها كانت من قطعتين مختلفتين !

وشعر بثقل اللبن فى الوعاء ، فسحب ذراعه ، وأغلق الباب فى حذر ، حتى لا يرتفع صريره ويوقظ النائمين ، وسار على أطراف أصابعه الى المطبخ ، ثم عاد الى غرفة نومه ، واندس فى السرير ، وسحب الغطاء وأغمض عينيه ليستأنف النوم اللذيذ .

وتقلبت هالة فى سريرها ، وبكت بصوت بدأ منخفضا ثم

أخذ فى الارتفاع ، فمد ذراعه من فوق زوجته ، وراح يتحسس الحلمة المطاط المشبوكة فى صدر هالة ، حتى عثر عليها ووضعها فى فمها ، ولكن هالة لم تكف عن البكاء ، بل انقلب صياحا ، فنحى الغطاء عنه فى غيظ ، فانكشف ذراع زينب ، وقام ليغادر الغرفة حافى القدمين الى المطبخ ، وهو ينظر الى زوجته وابنته التى عكر عويلها صفو السكون ، فألفى زوجتــه تمد يدها وتسحب الغطاء عليها دون أن تفتح عينيها ، وتروح فى سبات وقد ارتسم على وجهها هدوء عجيب •

ووصل الى المطبخ ، وبكاء ابنته يصك أذنيه ، فتناول علبة الكبريت ، وأخرج منها عودا فى عجلة ، وحاول أن يشعله ، ولكن العود انكسر ، فأخرج آخر وأشعله فى لهفة ، ثم أوقد « وابور السبرتو » ووضع فوقه وعاء اللبن •

ولم يشأ أن يضيع وقتا ، فأخرج من النملية زجاجة ركبت فوق فوهتها حلمة من المطاط ، وذهب الى الحوض ، وأخذ يغسلها فى عناية ، ثم وضع فيها قمعا ، وعاد الى وعاء اللبن الموضوع فوق « وابور السبرتو » •

واستمرت هالة فى بكائها ، فجعل يتململ فى وقفته ، وينظر الى النار فى توسل يتعجلها •• وأخيرا رفع الوعاء وصب اللبن فى الزجاجة ثم ألقى القمع فى الحوض ، وراح يركب الحلمة المطاط •

وفتح صنبور الماء ، ومد يده بالزجاجة ليبرد اللبن ، واستقر الماء يجرى فوق الزجاجة ، حتى اذا حسب أن حرارة اللبن أصبحت مناسبة ، رفع الزجاجة الى فمه ، ومص من الحلمة مصة فاذا باللبن يلسعه : فعاود وضع الزجاجة تحت الماء فى ضيق ، فبكاء هالة كان يدوى فى المطبخ •

وأغلق صنبور الماء ؛ وعاود مص الحلمة مرة أخرى ، وهو فى انطلاقه الى هالة ، ليطمئن الى مناسبة درجة حـرارة اللبن ، ورفع بصره الى الساعة المتواضعة المعلقة فى الردهة ، فاذا بها تشير الى السادسة ، وأخرج الحلمة من فمه ، ومسحها بيده ، ثم هرول الى غرفة النوم •

وألقم هالة الحلمة ، فكفت عن البكاء ، وأخذت الزجاجة بين يديها فوقف ينظر اليها برهة ، وقد تفجرت ينابيع الحنان فى جوفه ، وانبسطت أساريره ، ثم دار حول السرير ليأخذ مكانه الى جوار زينب ، ولكنه ما ان هم بالرقاد ، حتى عاود القيام ، فقد تذكر شيئا هاما •

خرج من الغرفة ، وسار فى ردهة طويلة ، حتى بلغ غرفة مغلقة ، ففتح بابها فى حرص ونظر • كان فى الغرفة ثلاثة أسرة ، رقدت فيها بناته الثلاث ، أحلام ونبيلة وسوسن •

كانت أحلام فى الثامنة عشرة ، مكتملة النمو ، بيضاء البشرة ، تبعثر شعرها الأسود الفاحم على الوســادة ،

وارتسمت على شفتيها بسمة ، ودارت فى فراشها نصف دورة ، فارتفع صدرها الناهد ، وامتدت احدى ساقيها العاريتين وتقلصت الأخرى ، كانت فى حلم لذيذ من أحلام الشباب •

وكانت نبيلة فى السابعة عشرة ، منفوشة الشعر ، مزججة الحاجبين ، رقيقة الشفتين ، وكانتا تتمتمان ، فهى لا تكف عن الكلام حتى فى نومها ، كانت ترتدى بيجاما ضيقة ، تكشف تفاصيل جسمها الرياضى •

وكانت سوسن فى الثامنة : دقيقة الملامح ، وردية اللون ، سبطة الشعر ، تبدو فى نومها كملاك ، قد رفع ثوبها أثناء تقلبها ، فبدا بطنها عاريا •

وتقدم يسترق الخطا ، وتناول أطراف الغطاء المكور تحت أقدام أحلام وسحبه فى رفق فوقها ، ثم اتجه الى نبيلة والتقط الغطاء من على الأرض ، وغطاها وهو ينظـر الى شفتيها الدائبتى الحركة ، فأشرق وجهه وبدا على فمه مولد ابتسامة •

وذهب الى سوسن ، ورفعها فى رفق بين يديه ليعيد رأسها على الوسادة ثم أحكم غطاءها ، وراح يمرر يده على شعرها الكستنائى فى حب وحنان •

وانسحب من الغرفة ، وجذب الباب خلفه ، وقبل أن يغلقه ، وقف برهة وقد لمعت عيناه •

واتجه الى الغرفة المجاورة ، وفتح بابها ونظر ، فاذا بثلاثة أسرة رقد فيها أبناؤه الثلاثة : سامى ومراد وعاطف .

كان سامى فى الرابعة عشرة ، معتزا بشبابه ، ينام عاريا ، لا يرتدى الا بنطلونا قصيراً من قماش أبيض ، وكان وجهه أشبه بوجه نبيلة ، كانت ملامحه توحى بطفولة ، ولكنه كان راضيا عن شكله كل الرضا ، وما كان يضايقه الا تأخر نمو شاربه !

كان مراد فى الثانية عشرة ، تبدو فى رقدته شقاوة ، فآثار الحبر فى أصابعه وفى خده ، وقد أدخل زرار البيجاما الأول فى العروة الثانية ، ونام فى عرض السرير ، رأسه مدلى ورجلاه مرفوعتان على الحائط .

كان عاطف فى الثالثة ، نام وقد وضع يده تحت خده ، وكور جسمه فدنت ركبتاه من ذقنه ، كان يرتدى قميصه وبنطلونه المخمل الأحمر ، وفردة حذاء وجوربا أبيض فى رجل ، ورجله الثانية عارية !

واتجه حسين الى عاطف ، وخلع له الحذاء والجورب ، ثم أبعد خصلة الشعر الأصفر المتهدلة على وجهه عن عينيه ، وجذب يده من تحت خده فى رفق ، فاذا به يتقلب فى فراشه ؛ فخشى أبوه أن يستيقظ ، فوضع الغطاء فوقه ، وانسل من جواره فى حذر وهو يتلفت .

وذهب الى مراد ، وحمله بين يديه ، ووضع رأسه على الوسادة ، ثم غطاه ، وقبل أن يتحرك رفس مراد الغطاء ، ودار نصف دورة ، فاذا برأسه يتدلى فى الهواء ، واذا برجليه ترتفعان وتستندان الى الحائط ، عائداً الى وضعه الأول .
فتناول الأب الغطاء وغطى به أبنه ، وهو فى وضعه ذاك ، دون أن يحاول اعادة رأسه الى الوسادة .

ويمم صوب سامى ، وسحب عليه الغطاء ، فاذا بسامى يهب من نومه مفزوعا ، وينكمش فى الزاوية البعيدة من السرير ، وقد فتح عينيه المحمرتين من أثر النوم ، وعلا رأسه شعره الذى كان أشبه بعرف الديك ، فبدا كأنما قد وقف من الخوف ، وراح يغمغم :

ـ هو .. هو .. هو . فى ايه ؟ فى ايه ؟

فقال أبوه وهو يجذبه فى رفق :

ـ نام .. ما فيش حاجه ..

نام سامى ، وسرعان ما أغلق عينيه ، فأسدل أبوه عليه الغطاء ، وتحرك عاطف فى سريره وتمطى ، فغادر الأب الغرفة هاربا .

ودخل غرفة نومه ، وفى طريقه الى السرير مر بمرآة ، فتفرس فى وجهه لحظة ، ومرر يده على شعره ، ثم هبط بها يتحسس التجعدات التى بدت فى صفحة وجهه ، ولاح فى عينيه

الأسى ، فقد مشت اليه الشيخوخة ولما يتجاوز الخامسة والأربعين !

وألقى بجسمه فى السرير ، وأغمض عينيه ، ولكنه أحس حركة فى الغرفة ، ففتح عينا واحدة ونظر فلمح عاطف قد-أقبل ، فأغمض عينيه وتظاهر بالنوم •

وراح عاطف يتسنق السرير ، ثم أراد أن يتخطى أباه النائم ، فداس فوقه وغاصت رجله فى بطنه وحسين صامت لا يتكلم ، وان تحرك قليلا ليفسح له مكانا بينه وبين زوجته ، واندس عاطف بين والديه ، ووضع رأسه على الوسادة ، ثم وضع ساقا على أخرى وهو راقد •

وظل ساكتا لحظة ، وسرعان ما ضاق بذلك الصمت المسيطر على الغرفة ، فالتفت الى أمه فألفاها مغمضة العينين ، فمد يده يفتح لها عينيها ، فتململت الأم فى نومها وأزاحتيده بعيدا ، فلم يرتدع ، بل استمرأ فعلته ، فاعتدل فى جلسته ليكون أمر فتح عينى أمه بيديه ميسورا •

وضاقت أمه بالحاحه ، فأولته ظهرها لتبعد عينيها عن يديه ؛ فاذا به ينهض ويمتطيها ، فدفعته بمرفقها فسقط على أبيه الذى تلقاه بين يديه ، وحمله ووضعه على الأرض ، وقال له :

ــ روح صحى نبيلة •

ــ اديني قرش قبله •

ـــ دلوقت لما أصحى •

ـــ ما انت صاحى أهو • اديني قرش بقى •

ونهض حسين واتجه الى حيث علق ثيابه ليعطيه قرشا ، ويريح رأسه ، كان واثقا من أن عاطف لن يكف عن طلبه حتى يأخذ ما يريد •

ومدت زينب يدها الى هالة تتحسسها ، وهى مغمضة العينين حتى لا يفر النوم منهما ، وراحت يدها تتجول على جسمها ، حتى اذا بلغت نهاية ظهرها ، تقلص وجهها تقززا ، وفتحت عينيها وأزاحت الغطاء عنها ، ونهضت لتحمل ابنتها وتغادر الغرفة •

وأخذ عاطف القرش ونظر اليه مليا ، ثم أعاده الى أبيه وهو يقول :

ـــ لأ ما اخدش ده ، عايز قرش مخروق •

وكانت الأم قد دنت منهما وهى تحمل هالة بين يديها ، فقالت لزوجها :

ـــ ايه الدلع ده ؟ ما حد ح يتلف أمله غيرك •

فقال حسين لابنه فى زجر :

ـــ ما فيش غير ده •

فراح عاطف يصيح فى بكاء :

ـــ أنا مالى عايز قرش مخروق •• عايز قرش مخروق •

وكانت زينب قد غادرت الغرفة ، فاذا بها تصيح من الحمام :

ــ عندك قرش مخروق تحت المخدة •

فابتسم حسين وقال :

ــ حنينا !

وأخذ عاطف القرش وذهب الى حيث يرقد اخوته ، واقترب من مراد وقال له وهو يمد يده بالقرش :

ــ خد •• ادينى حاجه ••

فتح مراد عينيه فرأى القرش ، فرفع رأسه المتدلى وأنزل رجليه من على الحائط ، ونهض مسرعا ، وقبل أن يغادر فراشه كان قد التقط القرش بين أصابعه • وغادر الغرفة وعاطف فى أثره ، واتجه الى صوان صغير فى الردهة ، وفتحه وأخرج منه صندوقا من الورق •

بدأت الحركة تدب فى الشقة ، فقد استيقظت نبيلة ووقفت على باب غرفتها ، واستيقظ سامى وظهر عند باب غرفته وقد وضع فوطة فوق كتفيه ، ولمحته نبيلة فانطلقت مسرعة على أطراف أصابعها كراقصة الباليه لتبلغ دورة المياه قبله ، فقال لها سامى فى غيظ :

ــ آدى اللى انت فالحه فيه •

فقالت له :

ـــ أحسن منك ، مش فالح فى حاجه أبدا •

وارتفع صوت الأم من الحمام :

ـــ اصطبحنا !

فقال سامى فى عناد :

ـــ تعالى شوفى صابحه ترقص ازاى !

وارتفع صوت نبيلة من بعيد :

ـــ باقول لك ما لكش دعوه بيه •

واذا بصوت الأم يدوى :

ـــ وبعدين معاكو •

وصمت سامى ونبيلة ، وصاح عاطف وهو يعيد قطعة السمسمية الى مراد :

ـــ مش عايز دى •• أنا أنقى ••

وقدم مراد الصندوق الى عاطف ، وهو يقول :

ـــ خد اللى انت عايزه •

ومد عاطف يده ينتقى ما يريد ، وقال سامى وهو يضم الفوطة الى صدره :

ـــ مش ح تبطل التجارة دى يا مراد ؟

فقال له مراد بصوته الخارج من كل حنجرته ، وقد نفرت عروق رقبته :

ـــ وانت مالك •

وخرجت سوسن من غرفة أبيها وفى يدها قرش ، واتجهت الى مراد تشترى منه قطعة حلوى ، فقال سامى :

ــ الهف فلوس العيال •

فصاح مراد :

ــ يا ماما حوشى سامى •

فصاح سامى :

ــ يا ماما ح يعبى الأولاد بيجيب حلاوة زى الزفت •

ــ مش أحسن م الحلاوه اللى بتجبها ؟

فقال سامى وهو يحاول أن يأخذ الحلاوة من يد سوسن :

ــ دى وساخه ••

فقالت له سوسن وهو تبعد يدها عنه :

ــ وانت مالك ؟

والتفت سامى الى مراد وقال :

ــ فيه خمسه صاغ تكسب خمسه وعشرين قرش ؟ • دا نصب •

وارتفع صوت الأم :

ــ ما بس بقى يا سامى •• لازم تسمعوا حسنا للجيران ع الصبح ؟

واستمر سامى فى هجومه ؛

ـ ح يعمل ايه بالفلوس دى كلها ؟ أهو بكره يركب بيها عجل ويقطع هدومه •

وهتفت الأم فى ضيق :

ـ ما تقوم لولادك دول •• دى حاجه تقصر العمر •

وخرج الأب من غرفته ، وقال فى هدوء :

ـ ما بس بقى • يالا البس انت وهو ما فيش وقت •

وسار سامى الى دورة المياه ، وسرعان ما ترددت أصوات طرقاته على الباب ، وذهب عاطف الى الصــوان يعبث فى محتوياته ، وخلع مراد جاكتة البيجاما وألقاها على الأريكة الموضوعة فى الردهة ، وراح يخلع بنطلونها وهى فى سيره ، ثم القاه على كرسى وغاب فى غرفته قليلا ، ثم عاد يصيح :

ـ مش لاقى فردة الجزمة •

وراح مراد يزحف على الأرض وينظر تحت المقاعد منقبا عن حذائه ، ودخلت سوسن غرفة أمها وقالت :

ـ مش لاقيه المشط •

وصاح مراد :

ـ المشط أهه تحت الكنبة ، أمال الجزمة فين ؟

فقالت سوسن :

ـ شفتها ع الترابيزه فى الأوضه المفروشه •

وأقبلت نبيلة على أطراف أصابعها ، ومرت فى حركة راقصة

بعاطف دون أن تلتفت اليه ، ثم انسلت الى غرفتها كالطيف وقد بدأت فى خلع جاكتة البيجاما •

وخرجت سوسن الى حيث كان مراد ، وأخذت المشط الذى أخرجته من تحت الأريكة ووضعه فوقها ، وراحت تمشط شعرها وهى فى طريقها الى المرآة ، ومرت بعاطف ، ورأت ما يفعله ، فانطلقت الى أمها مسرعة ، وهى تصيح :

ــ ماما •• ماما •• الحقى عاطف •

ــ ماله ؟ !

ــ بدر علبة الخيط •

فأسرعت الأم اليه فاذا بخيوط حمراء وصفراء وسوداء قد التفت على يده ، وامتدت منها الى البكر المبعثر على الأرض ، فضربته على ظهره ، وهى تقول :

ــ هو انتو قرود !

وراحت تلتقط البكر وتلف كل خيط على بكرته •

وقامت أحلام من نومها تتمطى ، ولمحتها نبيلة فى المرآة وهى ترتدى ثياب المدرسة وتصفف شعرها ، فوجدت الفرصة سانحة لتتحدث ، فاندفعت تحدثها عن المدرسة والمدرسات والمدرسين ، وكانت تتكلم بحاجبيها وعينيها ويديها ، وتطول وتقصر وتمثل ، وتلفتت أحلام فى الغرفة فألفت ثياب نبيلة المنزلية مبعثرة هنا وهناك ، فقالت وهى تنهض :

ـــ ما تعلقي هدومك •

فتلفتت نبيلة في الغرفة ، ثم قالت وهي تسرع بالهرب :

ـــ اتأخرت قوى ••

فقال أحلام وهي تلتقط بنطلون بيجامة نبيلة من الأرض .

ـــ طول عمرك زواغه •

وذهبت نبيلة الى حيث كان أبوها ، وقالت له :

ـــ عايزه خمسه وعشرين قرش •

ـــ ليه كمان ؟

ـــ ح نروح رحله لسقاره •

وبلغ ذلك الحديث مسامع سامي ، فخرج من غرفته مسرعا ، وهو يرتدي القميص ويدس رجله في البنطلون ، وصاح :

ـــ ما تديهاش يا بابا •

فالتفتت اليه نبيلة في غضب ، وقالت له مزمجرة :

ـــ وانت ايش حشرك ؟

ولم يأبه لاعتراضها ، بل استمر في وسوسته :

ـــ عايزه تجرى على حل شعرها مع البنات المايعه •

وقالت نبيلة في صوت خنقته العبرات :

ـــ عاجبك يا بابا قلة الأدب دي ؟

واستمر سامي في هجومه :

ـــ لو سمعت كل واحده فيهم وهي بتطق الضحكه ••

وصاحت الأم فى حدة :

ــ وبعدين معاكوا ؟ ! دا ما بقاش بيت •• دى سراية مجانين •

ولم يزدجر سامى ، بل ازداد عنادا ، ورأى أبوه أن يهاجمه حتى يسكت ، فمد يده الى الكرافتة التى فى عنقه وقال وهو يعبث فيها :

ــ هو نت مش ح تخلى لى حاجه ألبسها أبدا ؟ ! الشرابات وقطعتهم ، والمناديل وضيعتهم ، ح تندار ع الكرافتات ؟

فقال سامى فى هدوء :

ــ ما عنديش كرفتات •• هات خمسين قرش اشترى كرفاته •

فصاح أبوه فى وجهه ليبعده ، حتى لا يلح فى طلب النقود :

ــ طب غور من وشى •

وانسحب سامى فى هدوء : وهو يسوى الكرافاتة ، ودنت سوسن من أبيها ترقبه ، فلما رأته يمد يده فى جيبه ويعطى نبيلة خمسة وعشرين قرشا تشجعت وقالت :

ــ وأنا عايزه عشره صاغ •

ــ علشان ايه ؟

ــ اشترى مسطره وكراسه وعلبة ألوان •

فصاحت الأم وهى تضع الحلمة المطاط فى فم هالة :

ــ هو كل يوم علبة ألوان ! فين العلبه الى جبتها أول امبارح ؟

ــ كسرها عاطف .

فقال الأب فى هدوء :

ــ العصر أجيب لك الكراسة والمسطرة وعلبة الألوان .

فقالت فى بكاء تمثيلى :

ــ وانا مالى ... عندنا رسم أول حصه .. الأبله تضربنى .

وناولها الأب عشرة قروش ، ورأى مراد سهولة دفع النقود فأقبل وهو يصيح من حنجرته :

ــ وانا عايز فلوس المجموعه ، الأستاذ طلبها امبارح قلت له بكره .

فقال الأب :

ــ والنهارده قل له بكره .

فقال مراد وهو يلوح بيده فى ضيق :

ــ ايه ده ؟

ونظرت أمه الى حذائه الأصفر الذى ذهب لونه ، وقالت له :

ــ دى جزمه تخرج بيها ؟

ــ ما قلت لكم عايز جزمه ما رضيتوش .

فقالت له الأم فى ضيق :
ــ حرام عليك دى ما بقلهاش شهر ، روح امسحها •
ــ ما فيش ورنيش •
ــ والمعلبه اللى اشتريتوها امبارح ؟
ــ خلصت •
ولم ينتظر فى الغرفة ، بل انسحب يائسا ، ونظرت الأم خلال الباب ، فلمحت أحلام تلتقط ملابس اخوتها المبعثرة فى الردهة ، وتعيد تنسيق الأثاث فنادت :
ــ أحلام ، املى القلل واعملى الشاى •
وأقبلت نبيلة من غرفتها ، وقد وضعت حافظة كتبها على عجزها ، وأسندتها بذراعها ، ودنت من أحلام وقالت لها :
ــ اشتغلى ما دام قعدتى فى البيت •
فالتفتت اليها أحلام وقالت :
ــ بكره تقعدى فى البيت انت رخره •
فقالت نبيلة فى تمثيل ، وهى تسير فى خطوات راقصة :
ــ لا •• دا مستحيل •• أنا ح ادخل الجامعه •
وخرج سامى من غرفته وقد أتم ارتداء ملابسه ، فقال وقد اتخذ هيئة رجل :
ــ دا بعدك •
فصاحت نبيلة :

ـ يا ماما • خلى الشيخ أبو العيون ده يسكت •

فقالت الأم :

ـ هو لولا العربيه اللى بتيجى تاخـدك من باب البيت وتجيبك لباب البيت كنت وديتك المدرسه ؟

وقال الأب لينهى هذه المناقشة قبل أن تحتدم :

ـ أمال عاطف فين ؟

فقالت سوسن :

ـ نزل الشارع •

فقالت لها الأم :

ـ انزلى هاتيه •

ـ أنا اتأخرت ، راحة المدرسه •

ـ ما تنزليش قبل ما تفطرى •• عندك جبنه رومى فى النمليه ، اعطى يا نبيله لأختك سندويتش •

وتحركت نبيلة الى المطبخ تتبعها سوسن ، وسرعان ما لحق بهما سامى ومراد ، وامتدت الأيدى الى وعاء الخبز ، ثم امتدت فى تسابق الى الصحفة التى وضع فيها الجبن ، فكأنما جراد نزل بحقل ولم يغادره الا بعد أن أصبح يبابا قفرا !

وارتفع صوت بوق سيارة ، فصاحت نبيلة وهى تجرى :

ـ عربيتى •

وراح سامى ومراد وسوسن ينسلون من المطبخ فى طريقهم

الى الباب الخارجى ، وصاحت سوسن قبل أن تخرج :

ــ ماما ٠٠ الحقى ، خلصوا الجبنه ٠

فأسرعت الأم الى المطبخ وهى تقول :

ــ يبقى جنان ٠٠ وأنا لسه مشترياها امبارح ٠

ونظرت فوقع بصرها على آثار المعركة ، فتات من الخبز تناثرت على المنضدة القريبة من النملية ، وصحفة خالية وورقة كانت الدليل الوحيد على أنه كان ملفوفا بها شىء به دسم ، وضربت كفا بكف وعادت الى حيث كان زوجها وقالت :

ــ خلصوا الجبنه ٠

فقال فى هدوء :

ــ خليهم ياكلوا ٠

فقالت فى استنكار :

ــ ياكلوا ! مش ناقص الا ياكلونا ٠

وكان الزوج قد أتم ارتداء ملابسه ، فنظر فى ساعته وتحرك خارجا من الغرفة ، فصاحت الأم :

ــ أحلام ! هاتى الشاى لبابا واقلى له بيضتين يفطر ٠

فقال الأب وهو سائر وزوجته خلفه :

ــ وانتو مش ح تفطروا ؟

ــ لسه بدرى ٠ لما نخلص مرار الشقه ٠

وجلس على الأريكة الموضــوعة فى الردهة ، وأسرعت الزوجة ووضعت أمامه منضدة صغيرة •

وجاءت أحلام تحمل كوبا من الشاى ، وجلست الزوجة بالقرب من زوجها ، وقالت :

ــ ح تتغدوا أيه النهارده ؟

ــ أى حاجه •

وبدأ يرتشف الشا ى، فقالت :

ــ ما تدوخوناش •• شوفوا تاكلوا ايه ؟

وارتفع صوت أحلام من المطبخ :

ــ فاصوليا بيضه •

فقالت الأم فى استنكار :

ــ ما احنا لسه طبخينها أول امبارح •

فقال الأب :

ــ اعملوا صينية بطاطس •

فقالت الزوجة معترضة :

ــ هو ما فيش الا الفاصوليا والبطاطس ؟

فقال الزوج :

ــ اطبخى اللى على نفسك •

ــ لا ماتحيرونيش •• قولوا تاكلوا ايه ؟

وأقبلت أحلام تحمل صينية صغيرة ، عليها رغيف وصحفة

من الألمونيوم قلى فيها بيضتان ، وغطاء علبة بلاستك وضع فيه الملح ، وطبق فنجان شاى فيه قطعة صغيرة من الجبن الأبيض ، ووضعت الصينية أمام أبيها .

ومد الأب يده الى الرغيف ، واذا بصوت ارتطام حذاء صغير بالباب الخارجى يتتابع ، فقالت الأم لأحلام :

ـ افتحى .. عاطف طلع .

وأسرعت أحلام الى الباب وفتحته ، فدخل عاطف ، وجرى الى حيث كان أبوه ، ونظر فى الصينية وقال :

ـ بتاكل ايه ؟

ـ بيض .. تعالى كل .

فقال عاطف وهو يهز أكتافه :

ـ لأ .. أنا عايز بيضه صحبه لوحدى .

فقالت الأم لابنتها :

ـ عندك بيض ؟

ـ أبدا .

فالتفتت الى عاطف وقالت له :

ـ اطلع شوف بيضه عند الفراخ .

وتحرك عاطف ، وقالت له أحلام :

ـ واذا ما لقيتش بيضه ، استنى فوق لما الفرخه تبيض .

فقالت الأم فى حنان :

ـــ ليه كده يا بنتى •• دى الشمس تقوره •

ـــ لسه الشمس ما جتش فى السطح ، خلينا نســتريح شويه •

وبكت هاله ، فأسرعت الأم الى حيث ترقد وهى تقول :

ـــ والله ما ح نستريح أبدا •

ودخل عاطف المطبخ ، وأخذ كرسى مطبخ صغير ، وحمله على كتفه ، ثم سار منطلقا نحو السطح •

كانت عشة الدجاج مصنوعة من سلك وخشب قابعة فى ركن من السطح ، فذهب مهرولا اليها ، ونظر من خلال السلك ، وأدار عينيه فى العشة ، فلم يجد بيضا ، فوضع كرسى المطبخ بالقرب من العشة ، وجلس وقد أسند خده بكفه ، ينتظر أن تجود عليه دجاجة ببيضة !

وانتهى الأب من تناول الافطار ، وتأهب للخروج ، واذا بزوجته تقترب منه ، وقد حملت هالة على ذراعها ، وتقول له :

ـــ ما قلتش ح تتغدوا ايه النهارده •

وأسرع هاربا وهو يقول :

ـــ أى حاجه •

وأغلق الباب الخارجى خلفه ، فقالت الزوجة فى ضيق :

ـــ والله بطننا دى محيرانا •

الفصل الثاني

أخذت الشمس فى الارتفاع ، وأرسلت أشعتها الحامية ؛ وعاطف جالس على كرسى المطبخ بالقرب من عشة الدجاج ، يتململ فى جلسته ، ويجفف عرقه بيده ، دون أن يتطرق اليأس الى قلبه .

وارتفع صياح دجاجة ، فاذا بعاطف يقوم مسرورا ، ويذهب الى العشة ينظر من خلال السلك ، فيرى الدجاجة تبيض ، وراح يغدو ويروح أمام العشة فى قلق الوالد الذى ينتظر وليده الأول !

وراح صوت الدجاجة يخفت ، فتيقن من أن البيضة تم وضعها ، اكتسب خبرة من ممارسته الانتظار الطويل بالقرب من العشة ..

وفتح باب العشة ، ودخل فاذا بالدجاج يفر منه مذعورا ، واذا بصيحات الفزع ترتفع متتابعة ، فلم يلتفت الى ما يجرى حوله ، بل سار الى هدفه والتقط البيضة وخرج .

وهبط فى الدرج مسرعا ، حتى اذا وصل الى باب الشقة ،

أخذ يركله بقدمه ، فأسرعت أمه تفتح له الباب وفى يدها مغرفة بها أثر اللبن .

ونظرت اليه فألفت الدم يكاد يفر من وجهه . فمالت تضمه الى صدرها بيدها الخالية تقول فى حنان :

— يا حبيبى ! كنت فى السطح فى النغره دى ؟

فقال فى فرح وهو يرفع يده بالبيضة :

— جبت بيضه .

— طب روح لأحلام تسلقهالك .

وأسرع الى المطبخ ، وعادت الى حيث كانت ، راحت تغرفه من حلة نحاس لبنا تضعه فى أوعية بلورية ، وعاد عاطف اليها ورفع رأسه وسأل :

— بتعملى ايه يا ماما ؟

— مهلبية .

ولم ينتظر طويلا ، بل سحب كرسيا ، ووضعه بالقرب من « البوفيه » الذى صفت فوقه أوعية البلور ، وراح يتسلقه ، فقالت له أمه فى زجر :

— ابعد .. الحله تقع عليك .

— أشوف .

ووقف فوق الكرسى ينظر ، ولم يطق صبرا ، فمد يده يحاول أن يأخذ المغرفة من أمه ، فقالت :

ــ عايز ايه بس ؟
ــ هاتي اغرف انا •
فصاحت الأم :
ــ أحلام • تعالى خدى أخوكى ادى له البيضه بتاعته •
وأقبلت أحلام ، ترتدى ثوبا بسيطا ، فوقه « فوطة » من البلاستيك ، وبقطر الماء من يديها ، وأرادت أن تجفف يديها فى « الفوطة » ، ولكنها أخفقت فما كان البلاستيك ليمتص الماء ، فجففتهما فى طرف ثوبها ، ثم لفت ذراعها حول وسطه . وحملته بين ذراعيها وعجزها ، وسارت به وهو يهز رجليه سرورا •
انطلقت به الى المطبخ ، ووضعته على كرسى أمام المنضدة ، وأحضرت له البيضة ، وهمت بتقشيرها ؛ واذا به يمد يده ويأخذها منها ويقول :
ــ أنا اللى أقشرها •
وراح يقشرها ويرمى بالقشر على الأرض ، وأحلام غافلة عنه ، فقد تحركت تحضر له كسرة خبز ، وعادت بالكسرة ، ورأت القشر على الأرض ، فقالت فى زجر :
ــ وبعدين معاك •• هو احنا مش ح ننضف أبدا !
ووضعت كسرة الخبز أمامه ، وانحنت تلتقط القشر من الأرض •
ولاحظت تساقط فتات صفار البيضة ، فرفعت رأسها تنظر

اليه ، فألفت عاطفا قد وضع البيضة كلها في فمه ، وأخفق حلقومه في ابتلاعها !

وأسرعت تملأ كوب ماء ، ثم عادت اليه مهرولة وهي تقول :

ــ أشرب •• ح تموت نفسك •

وشرب ، واختلط الماء بصفار البيضة في الكوب ، فقالت أحلام في تقزز :

ــ أنا عارفه ايه القرف ده ؟ !

فقالت أمها وهي عائدة الى المطبخ تحمل الحلة الفارغة والمغرفة :

ــ آهو كلكم اتربيتوا بالمرار ده •

وغادر عاطف المطبخ ، وذهب الى الكرسي الذي وضعه بالقرب من « البوفيه » وتسلقه ، وراح ينظر فوجد أن أمه قد وضعت زبيبا وفستقا على سطح المهلبية ، فأخذ يلتقط الزبيب والفستق ويلقي بهما في فمه ، ولم يكتف بذلك بل راح يعبث بأصبعه في المهلبية •

وجاءت أمه ، ورأت فعلته فحملته بين ذراعيها في غضب ، ووضعته على الأرض في شدة ، وهي تصيح فيه ،

ــ غور من وشي قبل ما اقطم رقبتك •

وراحت تصلح ما أفسد ، وسرعان ما تجاوب رنين الجرس ،

فهرعت الى الباب وفتحتــه ، فاذا بسوسن قــد عادت من مدرستها ، فقالت لها أمها زاجرة :

ـــ مش ح تبطلى تحطى صباعك ع الجرس على طول ، والله لو صحيت هاله ما حد ح يشيلها غيرك •

فحركت كتفيها فى عدم اكتراث ، واتجهت الى غرفتها لتبدل ثيابها • وفيما هى فى سيرها لمحت عاطفا يعبث فى « التواليت » فعادت الى أمها مهرولة وهى تصيح :

ـــ ماما •• ماما •• الحقى عاطف دلق البودره ، وحط الفيزلين فى رأسه •

ـــ ابعديه •

ـــ مش عايز •

وأسرعت الأم الى عاطف ، تبعده عن التواليت ، وتجمع البودرة المندلقة ، فاذا بهالة تستيقظ ، وتبدأ فى البكاء ، فقالت الأم :

ـــ سوسن •• سكتى أختك •

فذهبت سوسن الى هالة وحملتها ، ورفعت الأم عاطف بين يديها ، وذهبت به الى الحمام ، ولمحت سوسن فيلا من الجلد على ظهر الصوان ، فخطر لها أن تحضره لتلاعب أختها به ، فوضعت هالة على حافة السرير ، وجاءت بكرسى ووضعته بجوار الصوان ، ووقفت فوقه ولكنها لم تصل الى الفيل ،

فجاءت بصفيحة بها « قراقيش » وبسكويت ووضعتها فوق الكرسى وتسلقت حافة الكرسى فى حذر ، وهمت بالوقوف فوق الصفيحة ، فاذا بها تسقط على الأرض ، وقد أحدثت دويا ، وتناثر البسكويت والقراقيش ، ففزعت سوسن ، وهرولت فرارا من أمها الى السطح • وتركت الأم عاطفا ، وأسرعت ترى ماذا جرى ، وهى تصيح :

ــ يا شياطين •• يا ملاعين •• يا قرود •

وصاح عاطف من الحمام فى بكاء :

ــ الصابون بيحرقنى فى عينيه •

فنادت الأم وهى فى عودتها اليه :

ــ أحلام •• تعالى لى القراقيش والبسكويت •

وقالت أحلام فى صوت عال :

ــ ولما الحله اللى ع النار تشيط !

وذهبت الى الحمام ، وراحت تغسل لعاطف وجهه ويديه ، واذا بهالة تضج بالبكاء فارتفع صوت الأم :

ــ بس •• بس •• أنا جايه أهو •• أنا عارفه يارب ليه دوختنى ••

وذهبت الى هالة وحملتها ، ثم راحت تجمع ما انتثر من البسكويت والقراقيش ، وجاء عاطف خلفها ، فقالت له :

ــ لم معايا •

فانحنى عاطف ، والتقط بسكويتة ووضعها فى فمه ، فقالت له فى حنان :

ــ باقول لك حط البسكويت فى الصفيحه مش فى بطنك ٠

وتهللت أسارير عاطف ، وعكف على التقاط ما انتثر ووضعه فى الصفيحة ٠

وأطمأنت سوسن الى أن نورة أمها قد خمدت ، فعادت الى المطبخ ، وراحت تعبث بالقرب من النار ، فقالت لها أحلام :

ــ ابعدى قبل النار ما تمسك فى شعرك ٠

فتأخرت خطوات ، وما لبثت أن تقدمت الى النار ، وفى يدها عود من قش المقشة تدنيه منها ، فصاحت أحلام بها :

ــ اخرجى من هنا ٠

وخرجت سوسن مطأطئة الرأس ، وجلست على الأريكة ، ولم تطق الصمت طويلا ، فتلفتت فوقع بصرها على المقص ، فتناولته وأحضرت صحيفة ، وراحت تقصــها « عرائس » وما انقضى طويل وقت حتى كان المكان قد غطى كله بقصاصات الورق ٠

وخرجت الأم من غرفتها تحمل هالة ، ويسير خلفها عاطف وقد أمسك بملابسها ، فرأت قصاصات الورق تغطى الأرض ، فصاحت :

ــ يا مقصوفة الرقبه ، والله لانا عدماكى ٠

فتركت سوسن المقص ، وأطلقت ساقيها للريح ، وراحت تعدو نحو السطح ، وأخذت الأم تجمع القصاصات ، ولمح عاطف المقص فتناوله ، وحاول قص غطاء الأريكة ، ولمحته أمه ، فأسرعت تنتزع منه المقص وهى تصيح :

ــ هو انتو عفاريت ، اخلصى يا أحلام ، وخدى هاله شويه •

ــ ح انزل الحله وجايه •

وجاءت أحلام وحملت هالة ، وذهبت الأم تلقى قصاصات الورق ثم عادت وقالت لأحلام :

ــ خدى اخواتك فى أودتكم لما أريح شويه •

وأخذت أحلام هالة وعاطف ، وذهبت الى حجرتها بينما تمددت الأم على الأريكة ، ولفت ذراعها فوق وجهها ، وما كادت تنعم بالاسترخاء حتى أقبلت سوسن صائحة :

ــ ماما •• ماما •• الحقى مراد بيتخانق مع تلات اولاد •• ح يموت فى ايديهم •

وهبت الأم من رقدتها ، وخفت الى الشرفة فاذا بها ترى ابنها بين ثلاثة أولاد ، قد ضربوا حوله نطاقا ، اذا دفع أحدهم ليشق طريقه بينهم ، دفعوه الثلاثة مرة واحدة ، فيختل توازنه ويترنح ، فلم تطق صبرا بل صاحت فى الأولاد :

ــ ما تسيبه يا واد انت وهو •

فقال أحدهم وهو يرفع رأسه اليها :

ــ خليه يدينا البرايه بتاعتنا •

ــ ما تديهم البرأيه يا مراد •

فقال مراد متشجعا لما سمع صوت أمه :

ــ مش ح اديها لهم الا لما يدونى المســطره والقــلم الرصاص •

ولمحت سامى مقبلا ، فهتفت :

ــ سامى • هات اخوك واطلع •

ودنا سامى منهم ، فقال له مراد :

ــ واخدين منى المسطره والقلم •

فقال الثلاثة معا :

ــ وهو واخد مننا البرآيه •

فقال سامى :

ــ هات البرايه •• هاتوا القلم والمسطره •

وناولهم المبراة ، وأخذ منهم المسطرة والقلم ، ودفع أخاه أمامه وهو يقول له :

ــ ياللا يا خايب •

فصاح فيه مراد :

ــ ايه •• ما لكش دعوه بيه •

وقالت الأم لهما من الشرفة :

ــ اطلع انت وهو ، واللا عايزين تفرجوا الناس علينا !

وعادت إلى الأريكة ، وتمددت فيها ، وداعب الوسن عينيها ، واستشعرت طعم الراحة ، واذا بأصوات مراد وسـامي وسوسن تمتزج وتصك أذنيها صكا فتصـيح دون أن تفتـح عينيها :

ــ ما بس بقى .. هو ما فيش فى البيت ده راحه ؟

واستأنفت نومها ، ولكن سرعان ما أقبلت سوسن ، تقول :

ــ ماما .. ماما .. آكل .

ودفعتها بيدها لتبعدها عنها ، واذا بعاطف يقبل هاتفا :

ــ ماما .. جعنا .

فنادت الأم :

ــ أحلام ، تعالى أكلى اخواتك .

وأقبلت أحلام ، ودفعت بهالة الى مراد ، وانسلت الأم الى غرفة نومها ، وارتمت فى سريرها .

ووضعت أحلام لعاطف قليلا من الأرز فى صحفة صغيرة ، ورشت فوقه ملوخية ، وأرادت أن تطعمه ، ولكنه أصر على أن يأكل وحده ، فتناول الملعقة وجعل يعبث فى الأرز ، وطلبت سوسن أن يغرف لها الأرز وحده ، والملوخية وحدها ، ثم قالت :

ــ وحطى لى حتة لحمه سمينه .

فقالت أحلام فى زجر :

ــ وطى صوتك بلاش قلة أدب •

ونظرت سوسن اليها فى دهش ، فما كانت تدرى ما الخطأ الذى ارتكبته • وتناثر الأرز على صدر عاطف ، وعلى المنضدة ، وعلى الأرض ، ولما امتلأ راح يقرع الصحفة بالملعقة •

ونادت أحلام :

ــ مراد •• سامى •• أغرف لكم ؟

فقالا معا :

ــ لأ •• لما ييجى بابا •

والتفت سامى الى مراد وقال له :

ــ ح تاكل معانا بأيديك الزفت دى ؟ • روح اغسلهم •

ــ طب خد هاله •

ــ وانا مالى •

فوضع مراد هالة على الأريكة ، وذهب يغسل يديه ويحاول أن يزيل الحبر منهما دون جدوى ! وارتفع بكاء هالة ، فتململت الأم فى رقدتها ، وخرجت أحلام من المطبخ تحمل عاطفا وقد تلوث وجهه وثيابه بالملوخية ، وقالت لسامى ، الذى خلع ثيابه ووقف بفانلة سبور وبنطلون البيجاما :

ــ سكت هاله •

ــ وانا مالى •

ــ طب خد عاطف شطفه •

ــ أمال انتم بتعملوا ايه فى البيت ؟

ــ طب اسكت بلاش غلبه •

وارتفع صوت مراد وهو يغسل يديه مشتركا فى الحديث :

ــ كفايه عليه يعمل ريس فى البيت •

وصاحت الأم من غرفتها :

ــ والله يا سامى ان ما شلت أختك لقايمه ومخليه نهارك تزى وشك •

وخرجت سوسن من المطبخ ، وحملت هالة ، فصاحت أحلام فيها :

ــ بتشيليها بايديكى الوسخه !

فوضعتها سوسن على الأريكة ثانية وهى تقول :

ــ أنا مالى • الحق على •

كان مراد قد يئس من تنظيف يديه ، فمسحهما تحت ابطيه وأسرع يحمل هالة •

وسارت أحلام الى الحوض ، وهى تبعد وجهها عن يدى عاطف ، فقد كان يحاول أن يعبث بشعرها بيديه الملوثتين بالملوخية •

ورن جرس الباب الخارجى ، فذهب سامى اليه فى تؤدة

وفتحه فاندفعت نبيلة داخلة ، وهى تطوح حافظة كتبهـا فى يدها ، وراحت تتحدث :

ـــ يا سلام لو شفتم اللى عملناه النهارده فى أبو الأسود الدؤلى ، دخل الفصل وقال لنا : « العواف » قلنا له : « الله يعافيك يا افندى » قال : « درس النهارده فى المفعول لأجله » قلنا له : « ما تحكى لنا الروايه اللى شفتها فى السينما امبارح أحسن يا افندى » قال : « ايش عرفكم انى كنت فى السينما ؟ » قلنا له : « أمانى شافتك يا افندى ، وبالأماره كنت قاعد قدام خالص يا افندى » قام قال : « أنا باقعد قدام علشان نظرى ضعيف » قلنا له : « بقى مش علشان آخر الشهر يا افندى » ؟

وكانت نبيلة قد وصلت الى باب غرفتها ، فقال لها سامى :

ـــ ما كفايه بقى ، اقفلى الراديو ده .

فالتفتت اليه نبيلة وقالت فى حركة تمثيلية :

ـــ وانت مالك يا بايخ ! هو أنا باحكى لك ؟

ـــ أمال بتحكى لمين ؟

ـــ باحكى لأحلام .

ورن جرس الباب الخارجى ، فصاحت سوسن وهى تهرول نحو الباب :

ـــ بابا جه .

وتخلص عاطف من يدى أحلام وراح يجرى خلف سوسن ، وهو يصيح :

ــ أنا اللى ح افتح له •

واستبقتا الى الباب ، وفتحته سوسن قبله ، فراح عاطف يسبها :

ــ يا قليلة الأدب •• يا سافله •

وقبل أن يستمر فى سبابه ، لمح أباه يحمل كيسا ، فأسرع اليه وقال له :

ــ ايه اللى معاك ده ؟

ــ حاجه حلوه •

ــ طب وريني •

ــ لما أدخل •

ــ طب هات أشيلها •

فقالت سوسن :

ــ لأ أنا اللى أشيلها •

وأسرع سامى ومراد وهو يحمل هالة ليريا ما الذى أحضره أبوهما • ودخل الأب الى غرفته ، وأبناؤه خلفه حتى أحلام ونبيلة لحقتا به ، واعتدلت الأم فى السرير ، وقالت :

ــ ايه ده ؟

فقال الأب فى نشوة :

ـ تفاح •

فقالت الأم وهى تغادر الفراش ، وتمد يدها الى الكيس لتستولى عليه :

ـ ما لوش لازمه النهارده • عندنا مهلبيه •

فصاح عاطف وسوسن ومراد وسامى :

ـ احنا مالنا عايزين تفاح •• تفاح •

وقالت الأم فى استسلام :

ـ أحلام هاتى السكينه •

وذهبت أحلام وعادت بالسكينة ، وأخذت الأم تشق كل تفاحة نصفين ، وتدفع الى كل من أبنائها نصف تفاحة ، فغضب عاطف وقال:

ـ ما اخدش نص ، أنا عايز تفاحة بحالها •

فصاحت الأم فى غضب :

ـ ما فيش الا كده •

وغضب عاطف وخرج من الغرفة يبكى وأبوه يتبعه بعينيه فى أسى ، كان يريد أن يدخل البهجة على قلوب أبنائه ، فاذا به لا يجلب معه الا النكد •

وأخذ كل منهم نصف تفاحته وهو صامت ، وان كانت وجوههم تنطق بعدم الرضا ، وقالت الأم :

ـ خلوه لبعد ما تاكلوا حلوا بيه •

ولكن مراد وضع نصف التفاحة فى فمه ، وراح يلوكها ،
وقالت الأم :
ـ أحلام .. نبيلة وضبوا السفرة .
وخرجت أحلام ونبيلة يتبعهما سامى ومراد ، وجاء عاطف يتمسح ثم قال وهو يمد يده :
ـ طب هاتى .
ودفعت اليه نصف تفاحته ، وهى تربت على كتفه ، فقال لهـا :
ـ مش أنا حلو بقى ؟
فقالت فى حنان :
ـ قمر .
وراح الأب يخلع ثيابه ، ودنت منه وقالت له :
ـ يا راجل اعقل . بلاش تبذير .
فقال فى هدوء :
ـ دى الحكايه كلها وقه .
ـ أوعى لنفسك . طالع لك بنات ، ح يعوزوا تقلهم .
ـ ربنا هو اللى بيرزق .
ـ والله ما انا عارفه لو واحده فيهم اتخطبت ح تعمل فيها ايه ؟
ـ يبقى وقتها يعين الله .

ـ أنا عارفه ما بيعجبكش كلامى • كل واحد ما بيعجبوش الا عقله ، قال على رأى المثل •

وصمتت الأم وتحركت لتغادر الغرفة ، فقال الأب وهو يرتدى جاكتة بيجامته التى تختلف فى لونها عن البنطلون :

ـ ما تكملى المثل : لو جابوا للمجنون ألف عقل على عقله ما يعجبوش الا عقله •

فقالت وهى تخرج :

ـ أنا ما قلتش انت اللى قلت •

وارتفع صوت أحلام :

ـ اتفضلوا الأكل جهز •

ونادى مراد :

ـ سوسن تعالى خدى هاله خلينى آكل •

وأقبلت سوسن وحملت هالة ، واذا بعاطف يقبل ويجذب سوسن من ثوبها :

ـ هاتيها أنا اللى ح اشيلها •

وصاحت سوسن :

ـ ماما •• ماما •• الحقى •• عاطف ح يوقع هاله •

وقالت الأم :

ـ ادخلوا أودتكم ولعبوها سوا •

وجلس الأب والأم وأحلام ونبيلة وسامى ومراد حول

المائدة ، وامتــدت الأيدى فى تؤدة ، ثم أخذت سرعتها فى الازدياد ، فبدا أنها كانت فى سباق ، وان هى الا لحظات حتى كانت الصحاف نظيفة كأنما قد غسلت .

ونهضوا يتسابقون الى الحوض ، غسلت نبيلة يديها ومراد وسامى خلفها يترقبان ، ودلفت الى غرفتها ، فصاح سامى :

ــ أيوه زوغى .

ــ وأنت مالك ؟

وبلغ ذلك الحوار مسامع الأم ، فنادت :

ــ نبيلة ، تعالى اغسلى الأطباق دول ، أختك اتهد حيلها م الصبح .

فقالت نبيلة وهى تختفى فى حجرتها :

ــ يا ماما ورايا مذاكره كتير .

وراحت أحلام تحمل الصحاف الفارغة الى المطبخ ، والأم تهدر :

ــ ايه الكلام الفارغ ده : خشى نامى وسيبى الخدامين يخدموكى ، طب والله العظيم ما ح تغسل أحلام الأطباق دى ، ولو دودوا ، دا ظلم دا كفر .

ونهض الزوج ، ودخل الى المطبخ ، وشمر عن أكمامه ، وراح يغسل الصحاف ليحسم الموقف ويريح رأسه !

ودخل كل الى غرفته ليستريح بعد الغداء ، ودخل الزوجان



ونهض الزوج ، ودخل الى المطبخ

حجرتهما ، وأغلقا بابها وتمددا فى الفراش ، وأسلمت الأم جنبها للرقاد • وما أن بدأت الراحة تمسح بيدها الحنون تعبها حتى أقبل عاطف يدق باب الحجرة بيديه فى قوة ، فنهضت وفتحت الباب ؛ وحملته ثم عادت به وأنامته الى جوارها ، فسكن قليلا ، وما لبث أن تقلب فى الفراش ، وأخذ ينظر فى وجهها ، فضايقه أنها مغمضة العينين ، فمد يده يفتحهما ، فدفعت يده تبعدها عن عينيها ولكنه كان كالذباب اللحوح ، كلما أبعدت يده عن وجهها ، عادت تعبث بعينيها أو شعرها أو أنفها •

ومد أصبعه وأدخله فى أذنها ، فنفد صبرها ، فحملته وانطلقت به الى حيث كان مراد وسامى وسوسن ، وقالت لهم :

ـ فين كرته ؟ العبوا معاه •

وقالت سوسن :

ـ ماما •• خدى هاله •

وقالت الأم وهى تسرع الى غرفتها :

ـ اديها لنبيله •

وأغلقت الباب خلفها وارتمت فى الفراش ، وانقضت دقائق من الهدوء واذا باب الغرفة يفتح ، وصوت سوسن يرن فيها :

ـ ماما •• ماما •• الحقى •• مراد شاط الكوره طارت ع الشارع •

وكان النوم أغلى من الكرة فلم تنبس الأم بكلمة ، وتقلب

الأب متبرما ، ثم سحب الغطاء وأخفى وجهه وأذنيه ، حتى لا يسمع .

وانسحبت سوسن ، وكأنما عز عليها أن تعود مهزومة ، فقالت لمراد :

ــ ماما جايه لك .

ومرت لحظات هنيئة كلها هدوء وصفاء ، تبعها صوت باب يصفق فى قوة ، ثم انهيار زجاج ، فقفزت الأم من نومها مفزوعة ، وانطلقت مرعوبة ، فاذا بها تجد عاطفا واقفا وهو مذهول وقد تناثر حونه زجاج الباب ، وارتفع صوت الأب مستفسرا :

ــ جرى ايه ؟

ــ عاطف كسر قزاز الباب .

فقال الأب فى ضيق :

ــ هو كل يوم لوح قزاز ؟

وقالت الأم فى راحة :

ــ الحمد لله ربنا ستر ، لو وقع عليه كان قتله .

وبكت هالة ، فذهبت سوسن اليها وأخذتها من جوار نبيلة ، ثم انطلقت الى أمها وقالت :

ــ ماما .. ماما .. خدى هاله .

فقالت الأم فى زجر :

ــ ابعدى دلوقت •• انتى عميتى ؟
ــ بتعيط •
ــ اديها لابوكى •

وعكفت الأم على التقاط الزجاج المتناثر ، وهى تبعد عاطفا عنه ، وانسلت سوسن الى غرفة أبيها ، وقالت :

ــ بابا •• خد هاله •

واستيقظ الأب ، وحمل ابنته ، ثم خرج بها الى المطبخ ، يعد لها زجاجة لبن •

وعاد الأب مسرعا ووضع هالة فى سريرها ، وألقمها الحلمة المطاط ، وطفق ينظر اليها وهى تمتص اللبن فى حنان •

ودلفت الأم الى الحجرة ، وأغلقت الباب خلفها ، ووقفت ترمق زوجها وابنتها برهة ، ثم تقدمت منهما وقالت :

ــ قول لى : بتحب البنت دى قوى كده ليه ؟ •

فقال وهو يبتسم :

ــ بنت الشبيه •

جلست على طرف اسرير وقالت :

ــ الا الواحد بيحب آخر ولاده ليه ؟

فاعتدل وقال وهو يفكر :

ــ يمكن عشان يبقى حاسس انه ح يتحرم من عطفه بدرى •

ومرر يده بحنان على جسم هالة وقال :

ــ يا ترى مين اللى ح يربيكى ؟
فقالت الأم فى سرعة :
ــ ما ح يربيها ويجوزها غيرك .
فقال الأب وقد شرد ببصره :
ــ مش باين .
فقالت الأم وهى تجذبه من طرف بيجامته :
ــ طيب نام بقى والنبى ما تمغصش بطننا .
وتمددا فى السرير ، ولزم الزوج الصمت ؛ وظهر القلق فى وجه الزوجة ، وأرادت أن تنزل الطمأنينة بصدرها ؛ فقالت :
ــ هو انت مش زى ابويا ، أبويا عاش لما جوزنا كلنا .. عندك ٤٥ سنه وكمان ستاشر سنه لما تتجوز هاله يبقى عندك ٦١ سنه ، مش ح تعيش ٦١ سنه ؟ !
ــ الأعمار بيد الله .
ــ لما يبقى عند هاله ستاشر سنه ح اجوزها على طول ، مش ح استنى ولا يوم .
ــ ما تقولش الخطاب واقفين على الباب !
فمدت يدها ومررتها على شعره ، ثم رفعت صدرها وانحنت فوقه ، وقبلته قبلة على خده أودعتها كل حبها .
وأغمضا عيونهما ، وراحا فى سبات .
***

ونهضت أحلام ووقفت أمام المرآة تصفف شعرها ، ثم فتحت درجا وأخرجت حلقها ، ثم صاحت :

ـــ ايه القرف ده ! مين اللى كسر الحلق ؟

فقالت سوسن :

ـــ عاطف كان بيلعب بيه .

وراحت تعبث فى الدرج ثم قالت :

ـــ فين السيكوتين ؟

فقالت نبيلة ، وهى ترتدى ثيابها ، وتقرب وجهها من المرآة وتتحرك فى خطوات راقصة :

ـــ كان مع سامى .

وأقبل سامى متحديا :

ـــ كنتى شوفتينى خدته ؟

ـــ مش كان فى ايدك الصبح !

ـــ ما تبطلى الكدب بأه .

ـــ ما حد كداب غيرك .

ونظر اليها مليا وقال :

ـــ وبتزوقى وراحه على فين ؟

ـــ مش شغلك .

واستيقظ الأب والأم على صياحهما ، ولكنهما ظلا فى الفراش ينصتان ، وقالت أحلام :

ـ نبيله جايه معايا ، رايحين نزور فايزه صاحبتى •

فاتخذ سامى هيئة رجل وقال :

ـ ما عندناش بنات يخرجوا لوحدهم •

فقالت نبيلة فى ضيق :

ـ وأنت مالك يا بايخ ؟

فقال سامى فى اصرار :

ـ اذا كانت أحلام ح تروح لفايزه أنا ح اروح معاها •

وهز الأب رأسه معجبا ، ورفت على فمه بسمة رضا ، وتحركت الأم فى فراشها وجلست متحفزة ، وارتفع صوت نبيلة متحديا :

ـ ح اروح غصب عنك ••

ـ مش راحه •

وصاحت نبيلة :

ـ هو انت أبويا ؟ !

وقال الأب لزوجته :

ـ ما تخرجى لأولادك دول •

ـ زقنى وخليك بعيد ، لما العيال كرهتنى •

وصاحت نبيلة :

ـ يا ماما ، ما تحوشى الشيخ أبو العيون ده !

وقالت الأم وهو تفتح الباب :

ـــ دانتو بنتين ، ترجعوا فى الضلمه لوحدكو ازاى ؟

فقالت نبيلة فى ثورة :

ـــ وفيها ايه يعنى ما دام أنا واثقه من نفسى ؟ !

وقال سامى ساخراً :

ـــ واثقه من نفسى ! •

ودارت نبيلة على عقبيها ، والتفتت اليه متحدية وقالت :

ـــ آه واثقة من نفسى ، أمال زيك •• ح تسكت واللا اتكلم انسفك ؟

فقال سامى فى تخاذل :

ـــ ح تقولى ايه يعنى ؟

ونهض الأب ووقف بالقرب من الباب يصغى •

ـــ ح اقول ع السجاير الى بتشربها •

وخرج الأب من غرفته ليشترك فى المعركة ، وقال :

ـــ سجاير ؟ والله عال مش فاضل الا السجاير !

وصاحت الأم :

ـــ اياك نكفيكو عيش ، قال سجاير قال •

وأحس سامى أنه وقع فى المصيدة ، فقال صارخا :

ـــ كدابه •• والله كدابه ••

فقالت نبلة ، وهى تدنى وجهها منه فى حركة تمثيلية :

ـــ والسيجاره اللى كنت بتشربها بالليل ؟

ـ دي سيجاره حلاوه اشتريتها من مراد ، مش كده يا مراد ؟

فقال مراد في بساطة :

ـ أبدا •• ما حصلشي •

فثار سامي وقال :

ـ يا كداب •• بتتكر عشان تبقى تشترى منك !

فقال مراد وهو يهز كتفيه :

ـ ما خلاص التجاره فلست •

فقالت 'ه أمه في زجر :

ـ قول الحق •

فقال مراد وهو يبتسم :

ـ الحق •• الحق •• أنا اللى اديته السيجاره •

فلطمته أمه على وجهه وقالت :

ـ أمال بتكدب ليه ؟

فقال مراد وهو يتحسس وجهه بيده •

ـ الحق على اللى قلت الحق •

وقالت الأم :

ـ اذا كانت أحلام خارجه ما حدش ح يخرج معاها الا سامي •

فقالت نبيلة في غيظ :

ـــ يا سلام ! عشان ما هو ولد ؟

فقال لها سامى وهو يخرج لها لسانه :

ـــ راجل •

واتجهت نبيلة الى أحلام وقالت لها :

ـــ طب هاتى بلوزتى بقى •

فقالت الأم :

ـــ وبعدين معاكى يا نبيله ؟

ـــ مش عايزه حد يلبس هدومى •

فقال سامى وهو يرتدى ملابسه ، ويسرح شعره :

ـــ لو كنتى ح تروحى معاها كنتى اديتيها لها •

ـــ ما لكش دعوه يا بايخ •

خلعت أحلام « البلوزة » وألقت بهـــا فى وجه نبيلة ، وراحت ترتدى بلوزة أخـــرى ، وانتهى ســـامى من ارتداء ملابسه • ودخل غرفة أحلام فرآها تمرر أصابعها على شفتيها فقال لها :

ـــ ان حطيتى أحمر فى شفايفك مش ح امشى معاكى •

فقالت له نبيلة :

ـــ جتك القرف فى شكلك •

فأخرج لها لسانه ، فتركت له الغرفة وانصرفت •

وتحرك سامى وأحلام ، وسار عاطف خلفهما ، حتى اذا ما فتح الباب تقدم عاطف ليخرج ، فصاحت سوسن :

ــ ماما .. ماما الحقى . عاطف نازل الشارع .

ــ سيبيه يتهوى .

واغتاظت سوسن ، فقالت :

ــ أنا مالى .. أهو دلوقت يوسخ هدومه .

وذهبت الى حافظة كتبها القماش وحملتها واتجهت الى حيث ذهبت نبيلة . ولمحت مراد يعبث فى الصوان ، فقالت له :

ــ مش ح تذاكر ؟

فقال لها بصوته المنبعث من حنجرته ، وقد نفرت عروق رقبته :

ــ ايه ! ما ادينى بدور على كراس فاضى أهو .

وعثر مراد على الكراس ، وانطلق خلف سوسن .

وتحرك الأب ليغادر غرفته ، وقبل أن يخرج التفت الى زوجته وقال لها :

ــ وراكى ايه النهارده ؟

ــ المرار اللى ما بيخلصش ، ح اخيط شرابات العيال ، واركب لهم الزراير .

وبدأت تحمل كومة من القمصان ، وعلبة رصت فيها الجوارب المزقة ، وقال الزوج :

ـــ أنا ح أقرا الجرنال •

ـــ لأ • وراك شغل كتير •

ـــ ورايا أيه ؟

ـــ جزم وصنادل العيال عايزين يصلحوا أهم عندك ورا الباب :

ونظر خلف الباب ، فرأى صندوقا من الورق المقوى ، تكدست فيه أحذية الأولاد وصنادلهم ، فحمل الصندوق ، وانطلق الى الردهة الخارجية ، ووضع الصندوق على الأرض ، ثم اتجه الى المطبخ ، وأحضر كرسيا قصيرا صنع من الخشب ، وعلبة صفيح بها خيط وسكينة أحذية وابر ومسامير وقدوم ، وحمل سندانا مما يستعمله من يقومون باصلاح الأحذية وذهب الى الردهة •

وجلس على الكرسى ، وقد وضع السندان أمامه ، ومد يده فى الصندوق وأخرج حذاء سوسن وراح يقلبه فألفاه مفتوقا ، فوضعه على فخذه ، ومد يده فى العلبة الصفيح يأخذ الابرة •

وأقبلت الأم ووضعت كوم القمصان على الأريكة ، ثم جلست ترفو الجوارب وهى تنظر الى زوجها بين لحظة وأخرى ، وهو منهمك فى خصف نعال أبنائه ، والتقت عيونهما مرة ، فابتسم الزوج وهو يغمز بعينه :

ـــ صنعه فى اليد •

الفصل الثالث

أتى المساء • وانتهى حسين من اصلاح أحذية أبنائه ، وأتمت زينب تثبيت الأزرار واصلاح الرتوق ورفو الجوارب ، فقامت تحمل البنطلونات والقمصان على رأسها ، وعلبة الخيط والجوارب فى يديها ، وسارت قليلا ثم توقفت والتفتت خلفها وقالت :

ـــ والنبى يا حسين تكوى للأولاد قمصانهم •

ووضعت علبة الخيط تحت ابطها ، ومدت يدها تسحب القمصان من فوق رأسها ، وتدفع بها الى زوجها •

تناول حسين منها القمصان ، وأخرج من الصوان مكواة كهربية ، ومفارش وأغطية راح يفرشها فوق المنضدة ، وجاء بكوب ماء ، وأخذ يملأ فمه بالماء ويرشه على القمصان ثم يكورها ويضعها على المنضدة •

وبدأ فى الكى ، واذا بصوت سوسن يرن فى الردهة :

ـــ بسم الله الرحمن الرحيم • قل أعوذ برب الناس ، ملك

الناس ، أله الناس ، من شر الوسواس الكناس •

فصاح الأب وهو مستمر فى عمله :

ـــ الخناس يا سوسن •

فأصلحت سوسن خطأها واستمرت فى القراءة :

ـــ من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس •

وكانت الأم قد انتهت من وضع البنطلونات والجوارب فى أماكنها وأقبلت ، فقالت لزوجها :

ـــ الخناس يعنى ايه ؟

فشرد حسين وقال :

ـــ الخناس ؟ •• الخناس ؟ •• هاتى مختار الصحاح نشوف معناها بالضبط ايه ، وهمت بالتحرك • واذا بزوجها يقول :

ـــ ولا مالوش لزمه •

ـــ ليه عرفت معناها ؟

ـــ أبدا ، بس ح نتعب نفسنا من غير لزمه •• ما فيش كلمه دورت عليها فيه الا لقيت مكتوب الشىء الفلانى « معروف » •

ـــ يعنى ايه معروف ؟

ـــ يعنى سهل قوى ، مش محتاج لشرح ، الناس كلها عارفاه •

ـــ طب والنبى لما اروح اشوف شارح « الخناس » بايه •

واتجهت الى غرفة الاستذكار ، انها غرفة بسيطة ، بها مكتب واحد متواضع ، وصوان صفت فيه الكتب ، لا ضلف له • أسدلت عليه ستارة ، وقد جلست نبيلة خلف المكتب ، بينما انبطح مراد على وجهــه على الأرض ، وقد بســط أمامه كتاب الحساب وكراسة ، وجلست سوسن على كرسى من القش ، ترتل القرآن وتهز رجليها •

ونظرت الأم ، فألفت عاطف قد نام فى كرسيه ، وقد تكور فيه ، بينما نامت هالة على الأرض ، فقالت لنبيلة :

ـــ حرام عليكى •• هو انتى ما فيش فى قلبك رحمه ؟

فقالت نبيلة فى دهش :

ـــ فى ايه ؟

ـــ مش شايفه اخواتك نايمين ازاى ؟

ـــ دول لسه نايمين دلوقت •

ـــ ناموا يا كبدى من غير عشا •

ـــ ما كلوا العصر •

وذهبت الى هالة وحملتها فى رفق ، ثم التفتت الى نبيلة ، وقالت :

ـــ هاتى أخوكى •

فرمت نبيلة الكتاب من يدها فى تبرم وهى تقول :

ـــ أف •• الواحد ما يعرفش يذاكر فى البيت ده •

ـ يعنى المذاكره حليت دلوقت ، لما كنتى ح تخرجى مع أحلام ما فكرتيش فى المذاكرة ؟

وحملت نبيلة عاطفا ، وسارت الأم وبين يديها هالة ، وخلفها نبيلة ، وعلى كتفها عاطف ، واتجهت الأم الى غرفتها وذهبت نبيلة الى غرفة البنين .

وضعت الأم هالة فى فراشها فى حنان ، وراحت تخلع لها حذاءها فى رفق ، ثم مالت ووضعت على خدها قبلة .

ودخل الأب الغرفة وهو يحمل القمصان ، فالتفتت اليه زوجته ، وقالت :

ـ ايد ما نعدمها .

ثم دنت منه وقبلته فى خده ، فأشرق وجهه ، ورفت على فمه بسمة رضا .

ووضعت نبيلة عاطف على فراشه وخلعت له فردة حذاء ثم غطته فى عجلة ، وفى رجله الأخرى « فردة » .

عاد الأب والزوجة الى غرفة الاستذكار ، واذا بسوسن تردد القسم ، وهى واقفة :

ـ أقسم بالله ، أن أكون مخلصة لمصر ..

ورفع مراد رأسه والتفت : فلما رأى أباه نهض وفى يده كتاب الحساب ، وذهب اليه وهو يقول :

ـ مش فاهم المسأله دى .

فقال الأب وهو يبتسم :

ــ ح تفهمها ازاى وسوسن عماله تذيع قرآن وأناشيد ؟

فقالت سوسن ورأسها مرفوع :

ــ يعنى ماذاكرش ؟ ! أطلع خاييه زيهم ؟

فقالت أمها وهى تربت على ظهرها :

ــ كفايه النهارده . أكلك فى التمليه كليه وخشى نامى .

ــ حاضر يا ماما .

وأقبلت نبيلة ونظرت ، فلما رأت أباها فى الغرفة مدت يدها وتناولت الكتاب وخرجت لتستذكر دروسها فى غرفة أخرى .

وتناول الأب الكتاب من مرادٍ ، وقرأ المسألة ، ثم قال :

ــ شوف يا مراد ، عندك حوض على شــكل متــوازى مستطيلات أبعاده من الداخل ١٢٠ سنتى و ١٠٠ سنتى و ٨٠ سنتى متر ، ركب عليه حنفيه تنزل ٦٠ لتر فى الدقيقه وفيه بلاعه تفرغ ٤٠ لتر فى الدقيقه ، فاذا فتحنا الحنفيه والبلاعه مع بعض ، بعد أد ايه يتملى الحوض ؟

فقالت الأم فى حماسة :

ــ كلام ايه الفارغ ده ، اللى عايز يملا الحوض يســد البلاعه ، انما يفتح الحنفيه ويسيب البلاعه مفتــوحه يبقى جنان .

ــ المسأله بتقول كده .

ــ يعلموا العيال حاجه معقوله •

ومد مراد يده ، وأخذ الكتاب من أبيه وأغلقه ، فقال له أبوه :

ــ بتعمل ايه يا مراد ؟

فقال مراد وهو يضع الكتاب على المكتب :

ــ ما دام حاجه مش معقوله أفهمها ليه !

وتحرك ليغادر الغرفة ، فقال له أبوه :

ــ تعال ، رايح فين ؟

ــ رايح آكل وانام •

ودق جرس الباب الخارجي ، فذهب مراد وفتحه ، فاندفعت أحلام في مرح يتبعها سامى فى تؤدة ، وسارت حتى بلغت غرفة الاستذكار ، فأطلت برأسها وقالت متهللة الأسارير :

ــ السلام عليكم •

ثم صارت تصفر ؛ وكل خالجة فيها تنطق بسرورها ، وراحت الأم تتبعها بنظرها برهة ، ثم قالت :

ــ ايه الى جرى الليله دى ! أحلام مش زى عوايدها •

ــ مزقططة ومش على بعضها •

وارتفع صوت أحلام فى غناء :

ــ مال الهوا يا امه •

فالتفتت الأم الى زوجها ، وقد اتسعت عيناها دهشة :

ــ سامح .. بتغنى . وما سمعتهاش بتغنى قبل الليــله أبدا .

وأنصت الزوج مليا ، ثم التفت الى زوجته وقال :

ــ غريب . صوتها طالع من قلبها .

ثم قالت بصوت خافت :

ــ تكونشي بتحب ؟ !

فهبت الأم كمن لدغتها أفعى :

ــ بتأيه ؟ هو أنا عندي بنات يعرفوا الكلام ده !

وانطلقت خافقة القلب الى غرفة ابنتها ، فألفتها قد خلعت ثيابها ، ووقفت أمام المرآة تتفرس فى مفاتنهــا التى عجــز القميص الشفاف عن سترها ، وأخذت الأم تنظــر الى ابنتها مليا ، فرأتها لأول مرة فتاة نامية ، اكتملت أنوثتها ، فاشتد وجيب قلبها وتقدمت اليها فى قلق ، وقالت :

ــ شفتى مين عند فايزه ؟ كان مين اللى قاعد معاكو ؟ .

فقالت أحلام فى بساطة :

ــ ما كانش فيه حد غريب .. كانت فايزه وامها وابوها وجلال .

فقالت الأم فى اضطراب :

ــ وجلال كان قاعد معاكو !

ــ أيوه يا ماما .

فقالت الأم فى صوت فيه رنة غضب :

ـ وازاى يقعد معاكو ؟

ـ وفيها ايه يا ماما ؟ لقى سامى قاعد قعد •

ـ لكن سامى لسه صغير : انما جلال بقى راجل •

سمع سامى الحوار الدائر بين أمه وأحلام ، فخرج من غرفته ، وانسل الى الغرفة الثانية حتى يشترك فى الحديث ، وقال :

ـ أنا كنت قاعد فى أدبى مش زى جلال •

فقالت أحلام فى ثورة وقد توردت وجنتاها ، فازدادت جمالا :

ـ ما كان قاعد فى أدبه رأخر ، قول لى عمل ايه كده ؟

فالتفت سامى الى أمه وقال :

ـ لو شفتيه وهو يبص لها ح ياكلها •

فتقدمت أحلام نحوه صائحة :

ـ خللى عندك أدب •

ولم يأبه لها ، بل أستمر يقص على أمه ما حدث :

ـ طول ما هو قاعد يبص لرجليها •

واتسعت عينا الأم ، ونظرت برغمها الى ســاقى ابنتها العاريتين ، فامتلأت خنقا ، واحتقن وجه أحــلام بالدم ، وصاحت :

ـــ ما بس بلاش كلام فارغ .

وهز سامى رأسه فى عدم اكتراث بها ، وقال :

ـــ ولو شفتى اللى عمله أبو فايزة .

فقالت الأم فى فزع :

ـــ وعمل ايه راخر ؟

فتقدم وهو يقلد الرجل فى حركاته وفى نبرات صوته :

ـــ طبطب على خد أحلام وقال لها : « أهلا مرات ابنى » .

فقالت الأم وهى تشهق :

ـــ مرات ابنه .. مرات ابنه ازاى ! ؟

وخرجت كالعاصفة ، وانطلقت الى غرفة الاستذكار ، فاذا بزوجها قد اضطجع وراح يقرأ الجريدة فى هدوء ، فصاحت فيه :

ـــ يا بختك بروقان بالك .

فنحى الجريدة ، واعتدل وقال :

ـــ حصل ايه ؟

ـــ قال الرجل يطبطب على خدها ويقول لها : أهلا مرات ابنى .

ـــ بيهزر معاها .

ـــ هزار ايه البايخ ده الى يفتح عنين الأولاد ؟

وجاء سامى خلف أمه يسعى ، ودخل الغرفة وقال :

ــ نسيت أقول لك .

ــ نسيت ايه كمان ؟

فأمسك الباب بيده ، ووضع ساقا على ساق ، ومال قليلا ناحية ذراعه التى أمسك بها الباب وقال :

ــ أبو فايزه وأمها وجلال بيقولوا لكم انهم ح ييجوا يزوروكم يوم الخميس الجاى .

فقالت الأم فى دهشة :

ــ ايش عجب ! لا يعرفونا ولا نعرفهم .

وشردت ببصرها ، وراحت الأفكار تتزاحم فى رأسها ، وصمت الأب يفكر ، ونظر سامى الى أمه والى أبيه ، فألفاهما شاردين ، فهز كتفيه وقال قاطعا حبل تفكيرهما :

ــ مش ح تتعشوا ؟

فقالت الأم فى سرعة للتخلص منه :

ــ احنا شبعانين ، روحوا اتعشوا انتم .

وانسحب سامى ، وجلست الأم على أقرب مقعد ، وقد حملت رأسها بكفها ، وأرادت أن تطمئن الى الأفكار التى نمت فى رأسها فقالت :

ــ تفتكر يا حسين ييجوا يزورونا ليه ؟

ولم يشأ أن يعبر عن الخواطر التى طفت على سطح ذهنه ، حتى لا يسبب لها ألما اذا ما خاب حدسه ، فقال :

ــ ايش عرفنى •

وساد الصمت بينهما ثانية ، وانفرد كل منهما بأفكاره ، حتى أفاق حسين على صوت كرسى يسحب من الخارج ، فالتفت الى زوجته وقال :

ــ يللا يا زينب ننام •

فنهضت وهى تقول :

ــ يللا •

ــ ودخلا غرفتهما ، وتمددا فى السرير ، ورأحت زينب تتقلب قلقة ، فقال لها زوجها :

ــ ما تنامى •

ــ مش جاى لى نوم •

وخيم الهــدوء على الغرفة ، ثم تنهدت زينب بصــوت مسموع ، فقال لها زوجها :

ــ بتفكرى فى ايه ؟

ــ يا ترى الناس دول شكلهم ايه ؟

ــ ناس زينا ، لهم عنين وودان وبق ومنخير •

ــ مش قصدى •

ــ أمال قصدك ايه ؟

ــ يا ترى دول ناس طيبين واللا جنسهم ايه ؟

فقال لها وهو يربت على ذراعها العارية :

ــ نامى نامى •• بكره نعرف كل حاجه •

الفصل الرابع

جلست زينب أمام « التواليت » وراحت تصفف شعرها ، ولمحت زوجها مقبلا فى المرآة ، وهو يرتدى بيجامته ، فقالت له :

ــ ح ننزل نشترى للأولاد جزم .

فقال لها الزوج وهو يعبث بذقنه :

ــ ما صلحناهم أول امبارح .

ــ جزمهم بقت عره ، والناس ح ييجوا بكره ، يقولوا علينا ايه ؟

ــ دول ما بقالهمش شهر .

ــ أنا عارفه بيعملوا فيهم ايه ؟

وصمتت قليلا ثم قالت :

ــ خد مقاسهم ويالا .

ــ طب البسى انتى وما تأخريناش .

فقالت وهى ترفع حاجبها عجبا :

ــ بقى أنا باغيب فى اللبس ، والله ما طلع على الحكايه دى غيرك •

فقال وهو يغادر الغرفة :

ــ لما نشوف •

ونادى وهو فى طريقه الى الردهة :

ــ سامى ، هات ورقة بيضه وقلم رصاص •

وأقبل سامى ومراد وعاطف وسوسن ، ووقفت نبيلة على باب غرفتها تنظر • قدم سامى الى أبيه الورقة والقلم ، فوضع الأب الورقة على الأرض ، وقال لعاطف :

ــ حط رجلك •

فوضع عاطف قدمه عارية فوق الورقة ، وأخذ الأب يمرر القلم الرصاص حول القدم ، ليحدده على الورقة ، وقال سامى :

ــ مقاس رجلى ٣٩ •

وقال مراد بصوته المنبعث من حنجرته :

ــ وأنا مقاسى ٣٦ •

ورفع عاطف قدمه ، ووضعت سوسن قدمها ، وراح الأب يرسمها على الورق ، وقالت نبيلة :

ــ أنا عايزه جزمه « سبور » ٣٧ •

والتفتت نبيلة خلفها ثم قالت :

ــ وأحلام عايزه جزمه بكعب عالى ٣٦ •

واذا سوسن تربت على خد أبيها وتقول :

ــ وأنا يا بابا عايزه جزمه بكعب عالى •

ودنا عاطف وقال :

ــ وانا كمان •

وقال الأب وهو يتجه الى غرفته :

ــ حاضر •

ودخل يرتدى ثيابه ، فالتفت الى زوجته فألفاها لا تزال تصفف شعرها ، فقال :

ــ لسه !

فقالت له :

ــ والنبى البس انت وما تلخمنيش •

وارتدى قميصه وبنطلونه ، وجلس يدس قدمه فى الجورب ، واذا بسوسن مقبلة تصيح :

ــ ماما •• ماما •• الحقى سامى بيحلق دقنه •

وقام الأب وقد لبس « فردة » جورب وقدمه الأخرى حافية ، وذهب الى الحمام ، فوجد الصابون الغزير يغطى ذقن سامى : فقال له الأب فى زجر :

ــ ايه اللعب ده ؟ تهيج دقنك •

فقال سامى فى مكابرة :

ــ هو أنا عملت حاجه ! أنا باغسل وشى •

وأقبلت نبيلة وقالت :

ـــ مستعجل قوى ، عايز تبقى راجل •

فقال لها سامى :

ـــ وانتى ايش حشرك ؟

وقالت سوسن :

ـــ شفت يا بابا هو اللى بياخد أمواسك ويقول ان انا اللى باخدهم أبرى بيهم الأقلام •

ومد سامى يده وقبض على ذراع سوسن ، وهزها فى غيظ :

ـــ يا بت انتى بطلى الكذب والتأويم •

وصرخت سوسن وقالت وهى تبكى :

ـــ آه يا دراعى •

فقال الأب فى غيظ :

ـــ انت بتضربها ليه ؟

فقالت نبيلة :

ـــ ما حدش مالى عينه •

وصاحت الأم :

ـــ ما بس بقى ، والله لو صحيت هاله ما حد ح يشيلها غيركم •

وانسلت نبيلة الى حجرتها ، وخرجت سوسن وهى تمسح

دموعا متوهمة ، وعاد الأب الى الغرفة يستأنف لبسه ، فوجد الجورب قد ابتل بالماء ، فخلعه وقام يحضر جوربا آخر •

وأتم ارتداء ثيابه ، وزوجته جالسة لا تزال بقميص النوم أمام التواليت ، وفى يدها أصبع الأحمر تمرره على شفتيها ، فقال لها :

ـ أنا بدى أعرف بتزوقى لمين بس ؟

فقالت فى دلال وهى تنظر فى المرآة :

ـ لك يا راجل •

ـ ما انتى قاعده كل يوم فى البيت من غير زواق ، اشمعنا الأبيض والأحمر ما يحلاش الا ساعة الخروج •

ـ عايزنى أمشى جنبك عره ؟ !

ـ اذا كان على أنا عاجبنى من غير زواق ، بس شطى ، والله ما حد ح يخطبك ، اتجوزتى وخلاص •

ـ آهو انت اللى بتعطلنى وترجع تقول باغيب فى اللبس •

فقال وهو يهم بمغادرة الغرفة :

ـ مافيش فايده ، كل الستات يحبوا ان الرجاله يصفروا لهم •

ـ مش كلهم •

ـ كلهم ، وانتى أولهم ، فاكره يوم ما جيتى فرحانه وقلت

لى انك كنتى ماشيه بين اتنين صحابك وواحد قال لك : أحلاهم اللى فى الوسط !

ـ طب اخرج بقى خلينى ألبس ، الحق على اللى بقول لك كل حاجه •

وخرج من الغرفة ، وراح يغدو ويروح فى الشقة وقد لاح فى وجهه الضيق ، ووقع بصره على الراديو ، فذهب اليه ليديره لعل النغمات المنبعثة تنزل الراحة بصدره ، وتعينه على الصبر •

ونظر الى الراديو فاتسعت عيناه دهشة ، كان زجاجه محطما ، وعقــاربه منزوعة ، والأزرار التى تدير العقارب مفكوكة ، فقال :

ـ راديو ايه ده ؟ بتدوروه ازاى ؟ !

فأسرعت سوسن اليه وقالت :

ـ عايز آنى محطه ؟ مصر واللا صوت العرب ؟

فقال الأب :

ـ أى محطه •

فمدت يدها تدير ذلك المسمار العارى الذى كان مركبا عليه زرار العقارب ثم توقفت وقالت :

ـ آهى دى محطة القاهره •

فالتفت أبوها اليها وقال :

ـ يعنى ما نطقش •

فقالت سوسن فى بساطة :

ــ ده ما بيمشيش الا بالضرب ، ادى له على نافوخه .

فنظر اليها وهو لا يفهم مما تقول شيئا ، فأسرعت الى الراديو وضربت سقفه بقبضة يدها الصغيرة ، فانبعث صوت الراديو مجلجلا فى الشقة .

وجلس الأب يصغى برهة ثم نهض واتجه الى غرفة النوم ونظر ، فألفى زوجته لا تزال تقوم بارتداء ملابسها ، فعاد الى الراديو ضيق الصدر ، وضرب سقفه فى غيظ بقبضة يده ، فاذا بالراديو يسكت عن الكلام ..

وعاد ثانية الى حيث كانت زوجته ، وقال :

ــ ما تيلا بقى .

فراحت تمرر زجاجة العطر خلف أذنيها فى هدوء ، ثم مدت اليه يدها بالزجاجة وهى تقول :

ــ خد ، اتريح .

فانقشع غضبه سريعا وقال :

ــ بعدين الستات تجرى ورايا .

ــ مش أحسن ما تجرى منك ؟

ومد يده وجذبها من يدها وهو يقول :

ــ اتأخرنا خالص ح نخرج فى الظلمه .

وجذبت يدها منه وقالت :

ــ طب لما أقفل الدولاب •

وأغلقت الدولاب ، ووقفت أمام مرآة « التواليت » تنظر الى ظهرها ، فمد يده وجذبها فانقادت له •

وخرجا من الغرفة وسارا فى الردهة ، واذا بها تقف فجأة وتقول :

ــ والله ما حد بيلخمنى غيرك ، نسيت آخد مقاس رجل هاله •

وعادت الى الغرفة ، ووقف فى الردهة يصرف أنيابه ، وغابت قليلا ثم عادت ، وانطلقا حتى اذا بلغا باب الشـــقة الخارجى قالت :

ــ أوه ، نسيتى الجوانتى •

وتركته وعادت لتحضر قفازها ، ووقف يدق الباب بقبضة يده دقات مكتومة تنم عن ضيقه ونفاد صبره •

وعادت اليه تعبث بقفازها ، وعلى فمها ابتسامة هادئة ، ففتح الباب وقال :

ــ اتفضلى ، على الله ما تكونيش نسيتى حاجه تانيه •

وانطلقا ، حتى اذا بلغا شارع ٢٣ يوليو ، راحا يتفرسان واجهات المحال ، وقال لها :

ــ مش ح نخش نشترى بقى ؟

ــ مش لما نتفرج قبله •

وسارا ، واذا بشاب يصفر ، فالتفت الى زوجته وقال :

ــ ما تفرحيش ، مش بيصفر لك ، بيصفر للى ورانا •

والتفتت خلفها ، واذا بفتاة قد ارتدت ثوبا ضيقا مثيرا ، يبرز منه نهداها ، وتطلو وجهها طبقة من المساحيق ، وقد ركبت رموشا طويلة ، وصبغت شعرها بلون الذهب ، فقالت :

ــ انت بتبص للفتارين ولا للماشيين ؟

فقال فى بساطة :

ــ بتفرج •

ووقفا أمام محل يبيع أقمشة ، وقالت :

ــ ما بقاش عندى فساتين أخرج بيهم ، تعال لما أقطع لى فستانين •

فقال فى صوت مضطرب :

ــ لكن احنا نازلين نشترى جزم للأولاد •

ــ دلوقت نشتريهم •

ودخلت الى المحل ودخل خلفها ، وانسابت مسرعة الى قسم الحراير وهو فى أثرها ، وقالت للعامل •

ــ عايزه قماشه بيج وردتها صغيره •

وراح الرجل يعرض عليها القماش ، وهى ترفض :

ــ لأ دى وردتها صغيره قوى •• لأ دى وردتها كبيره

قوى •• عايزه ورده أكبر من دى شويه ، وريني ورده أصغر من دى سنه •

وتكدست أثواب القماش أمام العامل ، حتى كادت تخفيه ، ونفد صبر الزوج ، فتقدم من العامل وقال له :

ـ لو كانت الفابريكه تنصف ، كانت تبعت لكم القماش ساده ، وتبعت معاه الألوان والفرش ، وكل زبونه ترسم الورده اللى على مزاجها •

وأحست الزوجة أن ضيق زوجها بلغ منتهاه ، فاختارت القطعتين وتناولت من العامل القسيمة ، ودفعت بها الى زوجها ليدفعها •

وذهبا الى محل أحذية ، واشتريا ما يحتاجان اليه بعد أخذ ورد طويلين بين الزوجة وصاحب المحل فى الأثمان ، وخرجا من المحل ، الزوج يضع لفة القماش تحت ابطه وتتدلى فى كل يد ربطة أحذية ، بينما سارت الزوجة الى جواره تعبث بقفازها !

ووقفت الزوجة عند واجهة محل ، وراحت تتفرس فى حقائب اليد المعروضة ، ووقف الزوج بعيداً ، فاذا بها تلتفت اليه وتناديه ، فلما يدنو منها : تقول له وهى تشير بأصبعها من الزجاج :

ـ ايه رأيك فى الشنطه دى ؟ شنطتى بقت عره •

ـ اعقلى بلاش تبذير ، طالع لنا بنات •

ــ هو احنا جبنــا حاجه زياده ؟ حتى حتت الشــنط مستخسرها فيه ! ما استهلهاش ؟

ــ اذا كانت عاجباكى خديها •

وهمت بالدخول ، فقال لها :

ــ اسمعى قبل ما تخشى ، مكتوب عليها تلاته جنيه ، نخش ندفع الفلوس ونخرج ، مش عايز فصال ووجع دماغ ، ان فاصلتى ح اسيبك واخرج على طول •

ــ طيب •

ودخل خلفها وهو لا يدرى كيف يوفق بين لومها له واتهامها اياه بالتبذير يوم اشترى أقة تفاح ، وبين ما تفعله اليوم !

وجعلت تقلب الحقيبة بين يديها ، وتجرب قفلها ، وتتفرس فى محتوياتها ، ولما اطمأنت اليها ، سألت :

ــ تمنها كام ؟

فقال الرجل :

ــ تلاته جنيه •

ــ كتير ، ميه وخمسين قرش بس •

واربد وجه الزوج ، ونظر الى زوجه فى غيظ ، ثم غادر المحل وتركها وحدها ، ووقف أمام المحل يدق الأرض بقدمه فى

ضيق ، وتقضى بعض الوقت ، ثم أقبلت الزوجة وفى يدها الحقيبة .

ــ خدتيها بكام ؟

فقالت فى هدوء :

ــ بميه وخمسين قرش .

فالتفت الى المحل وهو يجز على أسنانه ، فمدت الزوجة يدها اليه وقالت وهي تجذبه :

ــ يللا .. أصل فلوسك كتير .

الفصل الخامس

جاء يوم الخميس ، وكان ميعاد الزيارة المرتقبة ، فدبت حياة عاصفة صاخبة فى الشقة ، كان الأبناء جميعهم يرتدون أفخر ما عندهم حتى الأب راح يرتدى بذلته الرمادية التى كان يدخرها للمناسبات ، وارتفعت الأصوات واختلطت فكانت أشبه بالضجة المنبعثة من مشاهدى مباراة حامية فى كرة القدم .

وصاح سامى فى عصبية :

ــ المشط فين ؟ مين خده من قدامى ؟

فقالت نبيلة وقد خلعت جاكتة البيجاما ، ووقفت أمام المرآة تلف شعرها دوائر :

ــ أنا اللى خدته ، ما بقى لك ساعه بتسبسب .

وصاح الأب :

ــ من الى خد الكرافته من هنا ؟

فصاحت نبيلة :

ـــ مع سامى •

وخرج الأب من غرفته ، وهو عارى الساقين ، يرتدى قميصا أبيض ، واتجه الى حيث كان سامى ، ووقع بصره على الكرافتة ، فانقض عليها وأخذها وهو يقول :

ـــ حتى الكرافته دى ح تأخدها ؟ دانا بقى لى خمس سنين مش عارف أشترى غيرها •

ونادت أحلام :

ـــ نبيله نبيله ، والنبى تناولينى البنس •

فاتجهت نبيلة الى الحمام ، ودفعت الى أحلام بالبنس •

وصاح عاطف فى بكاء :

ـــ لأ ما البسش البنطلون ده ، عايز البنطلون الأحمر •

وقال مراد وهو يدس قميصه في البنطلون فى اهمال بحيث أصبح القميص من أمام داخل البنطلون ، بينا كان طرفه الخلفى خارجه :

ـــ ما تدى له البنطلون اللى هو عايزه •

وجاءت سوسن تهرول ، وهى ترتدى فستانا قصيرا كشف عن ركبتيها ، وهى تقول :

ـــ ماما •• ماما •• لبسينى الفستان •

وأولت ظهرها لأمها ، فهمت الأم بمد يدها لتصلح هندام ابنتها ، واذا بعاطف يصيح :

ــ أنا مالى عايز البنطلون الأحمر •

وارتفع بكاء هالة ، فصاحت الأم :

ــ يا نبيله ، أنا مش عارفه بتعملى ايه عندك ، تعالى شوفى أختك •

وقال سامى وقد ارتدى ثيابه :

ــ لما تخلص زواق •

ــ أنا قلت لك ميت مره ما لكشى دعوه بيه •

وقالت الأ ملسامى :

ــ فوت انت بقى روق لنا الشقه شويه •

فقال سامى :

ــ هاتوا ثمن تذكرة السينما •

فقالت الأم بصوت عال :

ــ ادى له يا حسين •

فقال الزوج فى ضيق :

ــ ما كانوا قعدوا فى الشقه !

فقالت الأم فى حدة :

ــ أنا واحده عيانه وما تجبوليش الأوى ، حرام عليكو كفايه قرف بقى !

فقال الأب وهو يدفع لسامى ثمن التذكرة فى صوت أقرب لصوت المعددة :

ـــ ليه العواذل حاسديني ؛ دول حقهم بيكو على •

ورأى مراد أن سامي حصل على ثمن تذكرة السينما ، فتشجع واقترب من أبيه وقال :

ـــ وأنا ؟

فقالت الأم وهي تصفف شعر عاطف :

ـــ خد اخوك معاك يا سامي •

فقال مراد بصوته المنبعث من حنجرته :

ـــ لأ ما امشيش مع سامي ، بيزغدني في السكه •

فقال سامي وهو ينصرف :

ـــ ومين يمشي معاك ؟

وأخذ مراد نقوده ، وانطلق مهرولا وأمه تصيح خلفه :

ـــ تعرف تركب بيهم عجل ح اقطم رقبتك •

وخرجت أحلام من الحمام ، وهي في قميص وردي ؛ تضع على كتفيها منشفة ، غطت بها ظهرها وصدرها ، وان ظل الأخدود الغائر بين ثدييها عاريا ، واتجهت في تؤدة الى غرفتها ، كانت في قرارة نفسها تحس أن اليوم يومها •

ونظر الزوج الى زوجته وقال :

ـــ لسه ما لبستيش ؟ الناس زمنهم جايين •

ـــ ح البس أهو •

ووضعت يد عاطف في يد سوسن وقالت :

ـــ اقفى باخوكى ع الباب •

فقالت سوسن :

ـــ طب هاتوا نضيع •

وأعطاها أبوها قرشا ، فرفضت أن تأخذه وقالت :

ـــ أنا شفتك اديت لسامى ومراد ايه ، عايز تضحك على ، واللا يعنى عشان ما هم ولاد ؟

وأعطاها أبوها حتى رضيت ، وأقبلت نبيلة تحمل هالة وتقول فى ملل :

ـــ كان على ذنب أتحبس معاها النهارده •• ما كنت خرجت أنا رخره •

فقال لها أبوها :

ـــ كنت تروحى على فين ؟

فقالت نبيلة وهى تلف بهالة فى حركة راقصة ؟

ـــ أي حته •

فقالت الأم وهى تخلع ثوبها :

ـــ ماهى الدنيا سايبه •

ودخلت نبيلة غرفتها وانبعثت من الراديو أنغام راقصة ، فراحت ترقص وهى ترفع هالة بيدها ، وأخذت تدور ، فقالت لها أحلام :

ـــ كفايه بقى زغللتى عنيه •

ولم تكف نبيلة عن الدوران ، بل قالت :

ــ قولى لى الناس دول جايين النهارده ليه ؟

فقالت أحلام وهى تزرر فستانها :

ــ أنا عارفه ! .

ــ كل حاجه فيــكى بتقــول انك عارفه ، تسريحتــك ، فستانك ، لمعان عنيكى ، الفرحه اللى .

قالت أحلام مقاطعة :

ــ بس بلاش غلبه : هو انتى ما بتتعبيش م الكلام !

وظلت نبيلة فى دورانها وحديثها :

ــ الكلام ده نعمه .. يمكن انتى ما تحسيش بيها ، لأن حواليكى ناس كتير بيكلموكى ، زى الشبعان اللى ما يعرفش قسوة الجوع ، ياما ناس يتمنوا يلاقوا اللى يكلموهم .

وارتفع صوت الأم ينادى :

ــ نبيله .. نبيله .

فقالت نبيلة وهى تتحرك فى خطوات راقصة :

ــ مؤكد ماما لبست الشراب .

وانطلقت الى حيث كانت أمها ، فألفتها قد ارتدت ثوبها وجوربها وقد لفت بجذعها تنظر الى بطن ساقها ، ولما رأت نبيلة ، قالت لها :

ــ شوفى خط الشراب معدول ؟

فنظرت نبيلة ثم قالت :

ــ معدول خالص ، وان ما كانش معدول ح يحصل ايه في الدنيا ؟

فقالت الأم في ايمان :

ــ ازاى ؟ دى قيمة الست في شرابها .

وقالت نبيلة في خبث :

ــ طب واللى من غير شراب ؟

فقالت الأم في بساطة :

ــ ما لهاش قيمه .

وضحكت نبيلة ضحكة طليقة ، فهذا الحديث يدور بينها وبين أمها كلما لبست الأم جوربها .

وأقبل الأب وهو في كامل هيئته ، ولمحته نبيلة فقالت في مرح :

ــ اش . ايه الشياكه دى كلها ؟

فقالت الأم وهى تبتسم :

ــ يا بت خللى عندك أدب .

وقال الأب وهو يهز رأسه :

ــ الشياكه راحت من يوم أنتم ما جيتوا .

ودق جرس الباب الخارجى ، فالتفت الأب الى الأم في اضطراب ، وقال :

ــ أمم جم • افتحى لهم الباب •

وقالت الأم فى قلق :

ــ أنا ما اعرفهمش • روح قابلهم انت •

وقالت نبيلة :

ــ انتو ح تسيبوا الناس واقفين ع الباب ! أروح أفتح لهم أنا ؟

وقال الأب فى سرعة :

ــ لأ •• لأ •• أحلام اللى تفتح لهم •

وخرجت أحلام من غرفتها ؛ وسارت صوب الباب الخارجى فى حيوية ، واذا بالأب يقول :

ــ دخلى الستات فى الأوده المفروشه والرجاله فى المكتب •

ووصلت الى الباب ، فوقفت برهة تصلح هندامها ، ثم مررت يدها على شعرها لتتأكد من أن الهواء لم يعبث به ، وفتحت الباب فألفت جلالا وأباه وأمه ، فرفت على فمها بسمة ، وتأخرت خطوة ، لتفسح الطريق ، وقالت :

ــ تفضلوا •

والتقت عيناها بعينى جلال ، فأحست كأن تيــارا كرهبيا سرى فى بدنها ، واستشعرت نشوة وسارت فى خفة ، وأشارت الى أم جلال أن تتفضل الى غرفة الاستقبال وانطلقت أمام جلال وأبيه تقودهما الى غرفة المكتب •

وجلس جلال وأبوه يقلبان عيونهما فى المكان فاحصين ، كان جلال شابا فى الثالثة والعشرين ، أسمر الوجه ، أسود العينين ، يميل أنفه الى الكبر ، غزير الشعر ، متوسط القامة • وكان أبوه ربعة ، بارز الكرش ، مستدير الوجه ، أصلع الرأس على الرغم من غزارة شعر حاجبيه ، سقطت بعض أسنانه ولم يفكر فى أن يضع مكانها أسنانا صناعية •

وأقبل حسين وزوجته فى الردهة ، حتى اذا بلغا غرفة المكتب وقف حسين متمهلا كأنما يستجمع شجاعته ، ثم دلف الى الغرفة ، بينما انطلقت زوجته الى غرفة الاستقبال ، ولمحه جلال وهو مقبل ، فقد كان مقعده مواجها للباب ، فنهض لاستقباله ونهض أبوه •

ومد حسين يده مصافحا ضيوفه ، فقال أبو جلال معرفا بنفسه :

ـ أنا مصطفى علوان •• ابنى جلال •

فقال حسين :

ـ تشرفنا •• أنا حسين عبد المتعال •• أهلا وسهلا •• أهلا وسهلا • اتفضلوا •

ومر بعض الوقت فى ترحيب ، وجاءت نبيلة وهى تحمل هالة واقتربت من الغرفة تصغى ، وخطر لها أن تتخلص من هالة ، فعادت الى غرفتها ، ووضعتها فى السرير لتنيمها وتمددت

الى جوارها ، واذا بنبيلة تتسام ، بينا راحت هالة تعبث فى شعرها •

وغادرت أحلام غرفة الاستقبال ، ومرت بالمكتب وتمهلت قليلا ، فرأت جلالا ينظر اليها مبتسما ، ثم يغمز لها بعينه فى غفلة من الأبوين الغارقين فى حديث تافه ، فأشرق وجهها والتمعت عيناها سرورا ، وانسلت فى خفة الغزال •

وغابت أحلام قليلا ثم عادت تحمل صينية عليها ثلاث صحاف فى احداها موز وفى الثانية « جاتوه » وفى الثالثة برتقال من الحجم الكبير ، ودقت باب الغرفة بطرف الصينية وجلال يرقبها ، وقد هم أن يخف اليها يحمل عنها الصينية ، ولكنه ثاب الى رشده ، وبقى فى مكانه ، وأحس أن والده بدأ ينظر اليه لما نهض حسين ليتناول من ابنته الصينية ، فتظاهر أنه يغض من بصره فى حياء متكلف ، فابتسم أبوه ابتسامة عريضة فضحت فمه الخرب ، ورماه بنظرة لو ترجمت الى ألفاظ ، لكانت « لا داعى للنفاق ، انى أعرفك جيدا » •

ووضع حسين الصينية على منضدة صغيرة ، ثم حمل المنضدة وما عليها ووضعها أمام مصطفى علوان ، حتى كادت تلمس كرشه ، واختفت أحلام من عينى جلال ، ولكن سرعان ما عادت تحمل صينية أخرى وانطلقت صوب غرفة الاستقبال •

واعتدل مصطفى فى مقعده ، وتأهب للخوض فى الحديث

الذى جاءوا من أجله ، فنظر الى جلال وهو يخفى موزة فى فمه ، وقال :

ــ اتكلم انا واللا تتكلم انت ٠٠ ما هو شبان اليوم عنيهم مفتحه ؟

وضحك ضحكة طليقة ، ثم قال لحسين :

ــ أنا فاكر يوم ما رحت مع أبويا يوم كتب كتابى بقت سنانى تتكتك وركبى تخبط فى بعضها ٠

وابتسم حسين ابتسامة باهتة ، حزر ما جاءوا من أجله ، فراح يجمع شتات نفسه التى ذهبت شعاعا ، كان يخمن الدافع لهذه الزيارة المفاجئة ، وكان يعد نفسه لها ، ولكن ما أن سمع كلمة « كتب الكتاب » حتى اضطرب وانقشع أمنه ، وسرت فى صدره رهبة ٠

ومال مصطفى علوان نحو حسين وقال :

ــ جلال ده ابنى ، أنا اللى ربيته ، قدامى طيب مستقيم ، لكن من ورايا ما أعرفش ، مش عايز أغشك ، اذا وافقت على طلبه اسأل عليه ٠٠ طالب ايد أحلام ٠٠ أحلام دى بنتنا ، بنحبها كلنا ، بس اياك جلال يعجبكم ويكون له قسمة ٠٠

فقال حسين فى صوت خافت مضطرب :

ــ ده شرف كبير لنا ٠

ــ أستغفر الله ٠٠ الجواز قسمه ونصيب ٠

وسمع وقع أقدام فى الخارج ، فالتفت حسين فألفى زوجته منطلقة فى تأثر ، فالتفت الى مصطفى وقال :

ـــ عن اذنك •

ـــ اتفضل •

وذهبت الزوجة الى غرفتها ، وانطلق حسين خلفها مهرولا ، ودلفا الى الغرفة واذا بحسين يرى فى المرآة زوجته مطرقة وفى عينيها الدموع ، وما ان أحست به حتى قالت فى صوت تخنقه العبرات :

ـــ عارف جايين ليه ؟

ـــ عارف ، جايين يخطبوا أحلام •

وانفجرت الزوجة بالبكاء ، فدنا منها يربت على كتفها ويقول :

ـــ مسير البنت تكبر وتسيب بيت أبوها •• أنا عارف انها ح توحشك •

فقالت وهى تشرق بدموعها :

ـــ أنا مش بعيط على كده •

ـــ أمال بتعيطى على ايه ؟

فقالت وقد استدارت وأخفت وجهها فى صدره :

ـــ بعيط على ان بقى لى بنت تتجوز

وضمها اليه فى حنان وقال :

ـــ اطمنى ، مش ح تعجزى أبداً •

ومد يده ورفع ذقنها ، والتقت عيناه بعينيها ، وقال :

ـــ ح تفضلى طول عمرك حلوه •

ثم قبلها قبلة هادئة وقال :

ـــ امسحى دموعك وروحى للناس •

فقالت وهى تجفف دموعها بيديها :

ـــ و ح تقول لهم ايه ؟

ـــ ح اقول لهم : ادونى مهله أفكر •

وسارت زينب وهى تقول فى أسى :

ـــ هيه •• كلها سنه والا اتنين وابقى جده •

وذهب حسين الى غرفة المكتب ، وانسلت زينب الى غرفة الاستقبال ، وما أن استقرت فى مقعدها حتى دوى صوت « بمب » أطفال ، وصوت زمارة •

واستيقظت نبيلة على الدوى ، وبكت هالة ، فنهضت نبيلة وحملتها ، وذهبت ثائرة الى غرفة الاستقبال وهى تقول :

ـــ كده خضيتوا البنت •

وتظاهرت بأنها فوجئت بوجود أم جلال ، فتأخرت خطوة ، واذا بأم جلال تقول :

ـــ خشى يا بنتى •• ما فيش حد غريب •

وتناولت الأم هالة ، وضمتها الى صدرها ، وجلست نبيلة

وتأهبت لتطلق لسانها من عقاله ، واذا بصوت ارتطام حذاء صغير بالباب يتتابع ، واذا برنين الجرس يدوى متصلا ، فقالت الأم :

ــ نبيله .. شوفى مين .

وقالت أحلام فى سذاجة :

ــ ما فيش الا سوسن وعاطف .. هى اللى تحط صباعها ع الجرس ما تشيلوش الا لما يتفتح الباب ، وهو يفضل يضرب الباب بجزمته .

وفتحت نبيلة الباب ، فدخلت سوسن ترتدى قناعا على وجهها يتبعها عاطف ينفخ فى زمارة وقد تمددت مثانتها حتى بلغت نهاية تمددها ، فقالت له نبيلة :

ــ بس بقى .. ح تطق .

فقال لها عاطف وهو ينفخ :

ــ مالكيش دعوه .

وضربت سوسن « بمبة » .

وأرادت نبيلة أن تبعدهما ، واذا بسوسن تفلت منها ، وتذهب الى غرفة الاستقبال .

رأتها أم جلال ، فقالت :

ــ أهلا .. أهلا .. ما تشيلى الوش ده وورينا حلاوتك .

وهزت سوسن كتفيها ، وقد ثبتت عينيها على الموز والبرتقال

والجاتوه ، وأرادت أمها أن تخرجها من الغرفة ، فقالت لها :

ـ سوسن •• بره •

وقبل أن تتحرك سوسن ، دخل عاطف وصوت زمارته يسبقه ونبيلة فى أثره ، فقالت الأم فى غيظ مكتوم :

ـ نبيله •• خدى اخواتك من هنا •

فقالت أم جلال :

ـ سيبيهم •• كلنا عندنا عيال •

ورأى عاطف الصينية وما عليها ، فقال :

ـ موزه •• موزه ••

ودفعته أمه ، واذا بمثانة الزمارة تنفجر ، فقال عاطف لأمه وهو يبكى :

ـ أنا مالى • انتى اللى طقتيها •• ما حدش ح يدفع تمنها غيرك ••

وارتفع صوته بالعويل ، فأقبل أبوه وقال وهو بعيد عن الغرفة :

ـ عاطف •• تعال •• تعال أجيب لك واحده تانيه •

وحملته نبيلة ، وذهبت به الى أبيه وهو يتلوى بين يديها ، وأخذه أبوه فى رفق وراح يربت على ظهره ويقول له :

ـ بس • ح اجيب لك عروسه كبيره •

فقال عاطف وهو يمسح دموعه •



- سيبيهم .. كنا عندنا عيال .

ـ لا .. أنا عايز أتومبيل .

وراحت الأم تنظر الى نبيلة نظرات زجر لتتسحب ، ولكن نبيلة أعرضت عن نظراتها .

وقالت أم جلال :

ـ أمال سامى فين ؟

فقالت أحلام :

ـ راح السينما .

وقالت أم جلال :

ـ عقبال ما يروح مع عروسته .

فقالت زينب :

ـ تسلمى .

ونهضت أم جلال ، فقالت زينب :

ـ ما بدرى .

ـ بدرى من عمرك . ابقوا شرفونا .

وسلمت على الأم وعلى نبيلة ، وعلى سوسن ، ثم طبعت قبلة على خد أحلام .

وأسرعت أحلام تفتح الباب ، وسارت زينب وأم جلال وخلفهما نبيلة وسوسن .

ونهض جلال وأبوه وحسين ، وانطلقوا صوب الباب ، واذا



ورأى عاطف الصينيه وما عليها فقال : موزة .. موزة ..

بالجميع يتقابلون عند الباب لأول مرة ، وانتهزت أحلام هذه الفرصة ، فراحت ترنو الى جلال فى حب وهو ينظر اليها مشرق الوجه مبتسما •

وجاء مراد ، وفى وجهه أثر شجم ، وقد اتسخت يداه ، وفى ساقه أثر تراب امتزج بعـــرقه ، وما ان رأته أمه حتى اربد وجهها ، وقالت فى ثورة :

ـــ مش قلت لك ما تركبش عجل •

فقال فى بساطة :

ـــ ما ركبتش عجل •

ـــ أمال ايه الوساخه دى !

ـــ ركبت موتوسيكل •

وشق طريقه بينهم وانطلق •

وانصرف الضيوف ، بعد أن تصافح الجميع ، وضغط جلال على يد أحلام ضغطة خفيفة أحست أثرها فى قلبها الذى اشتد وجيبه ، وفى وجنتيها اللتين اشتعلتا نارا •

واتجهت نبيلة الى غرفة الاســـتقبال وحملت الصـــينية ، وانطلقت أحلام الى غرفة المكتب وعادت بالصينية الثانية ، ووضعت الصينيتان على نضد بالمطبخ ، واذا بالأيدى تتخاطف ما بهما ، وقالت نبيلة ، وهى تمد يدها تأخذ قطعة جاتوه :

ـــ غوله عملت فرح قالوا ليله سعيده عليها وعلى أولادها •



ــ عوله عمات فرح قالوا : انه سعيده عنهم وعلى اولادهم

الفصل السادس

أتى المساء ، فنام عاطف كعادته على الأريكة فى الردهة ، وفى قدمه فردة حذاء ، وقدمه الأخرى عارية ، وأقبلت سوسن تتمطى ودنت من أمها وقالت :

ــ ماما .. ماما .. عايزه أنام .

ــ روحى نامى .

ــ حد يفرش لى السرير .

فقالت أحلام :

ــ تعالى .. أنا داخله أنام .

والتفتت أحلام الى أمها وأبيها وقالت :

ــ اتصبحوا بالخير .

وسارت حتى اذا بلغت الردهة ، حملت عاطفا لتضعه فى سريره . وانطلقت الى غرفة نوم الأولاد ، فاذا بمراد قد نام ورجلاه مستندتان الى الحائط ، ورأســه مدلى عنــد منتصف السرير فلم تلتفت اليه ، وتقدمت الى سرير عاطف ، ووضعت

حملها فيه فى رفق ، ثم ذهبت الى غرفتها وسوسن فى أثرها تردد فى صوت ممدود كله تكاسل :

ــ عايزه أنام .

وتقدمت أحلام من سرير سوسن وأصلحت وضع وسادته ، ورفعت الأغطية ، فأسرعت اليه سوسن وقبل أن تتمدد فيه قالت :

ــ غطينى .

وأحكمت أحلام وضع الأغطية حول سوسن ، ثم خلعت ثيابها واندست فى سريرها وقد أغمضت عينيها لترى بعين خيالها أحلامها البهيجة وأمانيها العذاب .

كان الزوجان يترقبان انصراف الأولاد ليتحدثا فى نجوى ، ويتشاورا فى أمر خطبة جلال لأحلام ، ولكن بقاء سامى ونبيلة فى الغرفة جعل صبر الأب ينفد ويقول لهما :

ــ انتوا مش داخلين تناموا ؟

فقال سامى :

ــ لأ . أنا ح اذاكر .

وقالت نبيلة وهى تنهض :

ــ اذا كنت ح تذاكر هنا ح اسيب لك الأوده واروح اقرا فى أودتنا .

فقال لها سامى :

ـــ تعملي طيب •

وغادرت نبيلة الغرفة ، والتفت الزوج الى زوجته وقال

ـــ الواحد وخمان النهارده ، ياللا نخش ننام •

ونهض ونهضت زوجته وسارا الى غرفة نومهما •

ووصلت نبيلة الى غرفتها ، فأضاءت النور ، وقطعت على أحلام حبل أحلامها اللذيذة ، فقالت فى عصبية ، دون أن تفتح عينيها حتى لا تفر الرؤى العذاب :

ـــ اطفى النور • خلينا ننام •

وراحت نبيلة تخلع ثيابها وترتدى بيجامتها ، وقالت فى هدوء :

ـــ ما تنامى •

فقالت أحلام وهى تتقلب فى غضب :

ـــ ما اعرفش أنام فى النور •

ـــ وانا ما اعرفش اقرا فى الضلمه •

ـــ هو الواحد ما يعرفش يستريح فى البيت ده !

فقالت نبيلة وهى تتمدد فى السرير وفى يدها كتاب :

ـــ هانت •• بكره تسيبيه وتستريحى منه على طول •

وتقلبت أحلام مرة ثانية فى حنق ، ثم جذبت غطاءها وأخفت به وجهها ، لتعيش فى الظلام تهيم فى دنيا جميلة من نســـج خيالها •

ودخل الزوجان غرفتهما ، وأغلقا بابها عليهما ، واتجهت الزوجة الى هالة ، وأحكمت الغطاء حولها وهى تقول لزوجها :

ــ عرفت ماهية جلال كام ؟

ــ قالوا خمسه وعشرين جنيه •

ــ وتفتكر خمسه وعشرين جنيه تفتح بيت اليومين دول ؟ ح يسكن بكام ويكسى بكام وياكل بكام ؟

وهز الزوج كتفيه ، ولم ينبس بكلمة ، وقالت الزوجة :

ــ قل لى : أبو جلال قال لك ايه ؟

ــ قال لى : أذا حصلت قسمه يجيبوا الشبكه ، ويقروا الفاتحه ويأخروا الكتاب للدخله •

ــ اسمع أنا بنتى لازم يتعمل لها فرح ، أنا مش بقى لى تمنتاشر سنه متجــوزه لكن مش قادره أنسى انى دخلت ع السكت ، الحكايه دى عملت لى قرحه فى قلبى ، كل ما افتكرها انقبض وعينه ترغرغ بالدموع • أيه اللى خلانا عملنا كده ؟ ازاى قبلت انك تيجى لوحدك تاخدنى زى اللى نكون عملنا عمله •• دخلنا شقتنا ننسحب زى الحراميه ، لا طقت زغروته ولا انقادت شمعه •

واقترب منها وقال وهو يلف ذراعه حولها :

ــ ياما ناس اتعمل لهم افراح ولا عمروش •

ــ لكن برضه الفرح حلو •

وقال لها وهو يضمها اليه :

ـ الستر والتوفيق أحسن •

وابتعدت عنه فى دلال وهى تقول :

ـ افتكرنا نفسنا وح ننسى البنت ، قول لى ما عرفتش اذا كان ح يسكن لوحده واللا ح يسكن مع أبوه ؟ • أنا بنتى ما تسكنش مع حد أبدا •

ـ دى تفاصيل ما تكلمناش فيها ، مش لما نوافق ع الجواز قبله ؟

أتما خلع ثيابهما ، واتجها الى السرير وتمددا فيه ، وقال الزوج وهو يضع رأسه على ذراعه وينام على جنبه ، ووجهه فى وجه زوجته :

ـ قبل ما نقول آه أو لأ لازم ناخد رأى أحلام •

ـ ناخد رأيها فى أيه ؟

ـ فى جلال • يمكن ما بتستظرفوش •

ـ أحلام لسه صغيره ايش عرفها بالكلام ده •

ـ أنا لما جيت أتجوزك مش خدوا رأيك ؟

ـ قالوا لى انك جاى تخطبنى ، قمت وديت وشى الناحيه التانيه ، قال ايه مكسوفه ، والحقيقه انى كنت فرحانه •• كل بنت بتفرح لما تتخطب ، بتحس ان بقى لها قيمه ، وان فيه راجل

بيطلبها • فرحت خالص مع انك كنت غريب عنى ، ما كنتش أعرفك خالص ، كنت بالنسبه لى زى سر جميل •

ـــ وعرفتى السر ده امتى ؟

ـــ بعد ما اتجوزنا • الحب ما يجيش الا م العشره •

ـــ أمال اللى بيحبوا بعض قبل ما يجوزوا ؟

ـــ ده حب شيطانى • ما بيعمرش •

وقربت وجهها منه وقالت :

ـــ قول لى بتحب فينا ايه ؟

ـــ باحب فيــكم كل حاجه فيكم • كدبكم ، وزيطتكم ووجع الدماغ اللى بتسببوه لى ، تعرفى آخر مره سافرت فيها ، لما جه الليل ودخلت أودتى أنام حسيت انى وحيد ، ما ليش حد فى الدنيــا ، بقيت أتلفت وأنا مقبوض ورغرغت عينى بالدموع ، اشتقت ساعتها لعياط هاله ، وسآلة سامى ، ولت نبيلة •

وشرد قليلا ثم قال :

ـــ الله احنا مالنا الليله دى بنفتكر نفسنا وننسى البنت • الصبح لازم تسألى أحلام عن رأيها فى جلال •

ـــ ح أسألها وان كنت واثقه انها ح تودى وشها الناحيه التانيه وتطاطى راسها •• يا ترى عيلة جلال شكلها ايه ؟

ـــ هى ح تتجوز جلال واللا ح تتجوز عيلته ، الرك عليه هو .

ـــ الرك ع الأصل برضه ، الأصيل ما يعبش .

ثم تتهدت وقالت :

ـــ بقى انا اللى كنت بالعب أول امبارح فى الحاره بقى لى بنت تتجوز !

ـــ ما شفتكيش وانتى بتلعبى فى الحاره ، شـــفتك شابه حلوه .

ـــ هو انت لحقت تشوفنى . كنت مستعجل قوى ، ما لحقت خطبتنى ما لحقت دخلت عليه .

ـــ فاكره ليلة الدخله لما لقينا نفسنا فى الشقه لوحدنا ؟

ومدت يدها تطفىء النور ، وهى تضحك ضحكة خافتة وتقول :

ـــ والنبى ما تفكرنيش ، دا احنا كنا عبطه قوى .

وامتزجت ضحكاتهما الخافتة ، ونسيا ابنتهما وراحا يفكران فى نفسيهما بكل حواسهما .

وانقضى الليل بأسراره ، ودبت الحياة فى الشقة ، فاذا بملابس النوم تلقى هنا وهناك ، واذا بشجار وصياح وعويل وبكاء ، واذا بأقدام تسرع الى المطبخ ، واذا بأياد تمتد الى الصحاف ولا ترتفع الا بعد أن تصبح خاوية .

وخرج الأب والأولاد ولم يبق فى الشقة الا أحلام وهالة وأمهما .

راحت أحلام تلتقط الثياب المبعثرة ، وتملأ القلل ، وتعيد تنسيق المكان ، بينا كانت الأم تغسل ثياب هالة وجوارب الأولاد ومناديلهم .

ونادت الأم :

ـ أحلام . تعالى خدى الغسيل ده انشريه عندك .

وذهبت أحلام الى الحمام ، ودنت من أمها ، فاذا بالأم تقول لها وهى تتظاهر بالانهماك فى عصر ثوب من ثياب هالة :

ـ عارفه ان جلال جه يخطبك امبارح ؟

ونظرت الى ابنتها من طرف عينيها لتراها وهى تشيح بوجهها خجلا ، ولكن أحلام قالت فى هدوء :

ـ عارفه .

ولم تجد الأم مبررا لتتظاهر بالانشغال عن ابنتها لتخفف من حدة خجلها ، فما عادت البنات يخجلن من ذكر الزواج والخوض فى أحاديثه فوضعت الثوب على الصنبور ، وأسندت كفها على الحوض وقالت

ـ وعارفه انه بياخد خمسه وعشرين جنيه ؟

ـ عارفه .

ـ وتفتكرى الخمسه وعشرين جنيه يكفوكو ؟

فقالت أحلام فى حماسة :

ــ يا ماما احنا لازم نبتدئ من أول السلم ، نكافح سوا ، ويكون لنا هدف واحد ، نبتدى صغيرين ونكبر مع بعض ، عشان لما نعجز تكون لنا ذكريات مشتركة نعيش عليها ، انتى نسيتى يا ماما بابا كانت ماهيته كم لما اتجوزتو ؟ .

ــ كانت ماهيته اتناشر جنيه ، لكن كانت أيام غير دى ، كانت أجره الشقه اتنين جنيه ، ورطل الحمه الضانى كان بتلاته ونص .

ــ يا ماما احنا اتنين ، ح ناكل ايه ولا ح نشرب ايه ؟

ــ النهارده اتنين بكره ح تزيدوا .

ــ وكمان ماهيتنا ح تزيد ، ومش ح نعمل زيكو ، ح نخلف واحد أو اتنين بالكتير .

ــ كان غيركم أشطر .

واقتربت أحلام من أمها وقالت :

ــ قولى لى : ايه هى أسعد أيامكم ؟ مش أيام جوازكم الأولى والأيام اللى اتولدت فيها واللى اتولدت فيهــا نبيله وسامى ومراد وسوسن وعاطف ؟ دانا فاكره يوم ما اتولدت هاله ، كان بابا فرحان ، احنا لما اتولدنا كنا عبء جديد عليكم ، وبرضه فرحتوا بينا ، مش كل الأعباء تزعل ، فيه أعباء لذيذة الواحد يتحملها وهو مبسوط ، أنا أفتكر ان متاعب الكفاح من

الأعباء اللذيذة • لما تزرعى شجره وتتعبى فى زرعها مش بتنسى كل تعبك لما تشوفيها كبيره ، كمان الزوجه بترعى جوزها وبتتعب عشانه وبتحرم نفسها من كتير ، عشان توفر له الراحه ، وتهيأ له الفرصة اللى يكبر فيها ، لغاية ما تشوفه كبير ، وساعتها تنسى كل تعبها •

ونظرت أمها اليها فى دهش ، وهى صامتة ، لم يدر بخلدها أن أحلام ، ابنتها الطفلة ، التى كانت تحسب حتى الساعة أنها لا تفهم عن الحياة شيئا ، تتحمس لخطبتها كل ذلك الحماس ، كانت تظن أنها ستدير وجهها حياء ، حتى اذا ما ألحت عليها فى استطلاع رأيها قالت فى صوت متهدج : (البركه فيكم • اعملوا اللى تشوفوه) •

ورأت الأم من الحكمة أن تساير ابنتها فى عواطفها ، وألا تحاول تبصيرها بمستقبلها ، فقد أحست ضآلة نفسها بعد أن سمعت آراء ابنة الأمس ، فقالت :

ــ يا بنتى احنا كل الى عايزينه سعادتك ، وان ربنا يهدى سركم •

والتفتت الأم صوب السماء وقالت :

ــ يارب اجعل أيامهم أحسن من أيامنا •

فقالت أحلام وهى تبتسم :

ــ واللا زيها •

ــ واللا زيها يا بنتى • والله أيامنا ما كانت وحشه •

وأخذت أحلام الغسيل وغادرت الحمام لتنشره ، والأم -
تنظر اليها فى اعجاب وعجب .

وراح الوقت يمر ، وعاد الأولاد من مدارسهم ، وبدأت متاعب الغداء ، وارتفعت الأصوات ، وأقبل الزوج ، واتجه الى غرفته ، وأسرعت زوجته اليه ، فقال لها وهو يخلع جاكتته :

ـ هيه . كلمتى أحلام ؟

ـ كلمتها .

ـ موافقه على جوازه ؟

ـ موافقه بس ! دا لو جاب محامى ما كنتشى اتكلم له زى ما تكلمت له .

ـ قالت لك ايه ؟

فقالت وقد التمعت عيناها ببريق الاعجاب :

ـ قالت كلام ما عرفش اقوله أنا يا للى متجوزه بقى لى تمنتاشر سنه .

ثم مصمصت بشفتيها وقالت :

ـ بنات آخر زمن .

الفصل السابع

وقفت أحلام أمام المرآة تديم النظر الى وجهها ، ثم ترفع يدها وتصلح الشعرات المبعثرة على جبينها ، واقتربت نبيلة منها ومررت يدها على ظهرها لتذهب التقلصات التى كانت بثوبها . ونظرت الى ساقيها مليا ، فالتفتت اليها أحلام وقالت وهى تبتسم :

ــ ايه ، خط الشراب مش عدل ؟

فقالت نبيلة وهى تضحك :

ــ فين الشراب ده ، هو انتى لسه لبستيه ؟

ورفعت أحلام ثوبها ، والتفتت بنصفها الأعلى ، لترى بطن ساقها وقالت :

ــ ما اهه .. بصى عدل .

فازداد ضحك نبيلة ، وقالت :

ــ ح تستعمينى ، وأنا نظرى سته على سته ؟

وصكت ضحكات نبيلة أذن سامى ، فخرج من غرفته ،

وهو عارى الصدر ، يرتدى بنطلونا قصيراً وجوربا وفردة حذاء ، وفى يده الفردة الثانية وقال :

ــ ايه الضحك ده ، زمان جلال طالع ، يقول علينا ايه ؟

فقالت نبيلة وهى تشيح بوجهها عنه :

ــ ايه . ما نضحكش ؟!

ــ لأ ما تضحكيش .

ــ هو حكم قراقوش ده ، واللا ايه ؟

ــ أيوه حكم قراقوش .

ــ اسمع . انت ما لكش دعوه بيه . انت مش ولى أمرى .

ــ لازم تعرفى انى أنا مسئول عنك .

كانت الأم ترقب زوجها وهو يرتدى ثيابه ، فقالت له همسا :

ــ يا راجل اخرج لهم خليك حمش .

وخرج الأب لهم وقال فى صوت خافت :

ــ ما بس . زمان جلال طالع .

فقالت نبيلة فى عصبية :

ــ خليه يسكت عنى ، مالوش دعوه بيه ، دا مش عايزنى أضحك .. مش عايزنى أتكلم .. مش عايزنى أتنفس .. يعنى أموت يعنى ؟

فقال سامى :

ـ يا بابا مش سامعها بتضحك ازای ؟

ـ يا بابا دا عامل نقره من نقرى .

ووقف الأب حائرا بينهما ، فأسرعت الأم لتضع حدا لهذا النزاع فصاحت :

ـ خللى عندك دم انت وهى ، ياللا كل واحد منكم على أودته ، مش عايزه أسمع حس حد فيكم .

وانسحب سامى الى غرفته ، ودخلت نبيلة الى غرفتها ، فاذا بأحلام فى شغل عنهم جميعا بتنسيق وضع الشيكولاتة على الصينية ، كان معها ارضاء جلال .

ولمحت الأم مرادا وهو مقبل من أقصى الشــقة ، وقد اتسخت ملابسه ، وتلوثت يداه بالحبر ، فصاحت فيه :

ـ مراد . خش اشطف والبس هدوم نظيفه ، زمان جلال طالع .

فقال فى بساطة :

ـ وانا مالى ومال جلال ؟ !

ـ لما يشوفك وسخ كده يقول ايه ؟

ـ يقول الى يقوله ، هو جاى عشانى ؟

ونظر من خلال الباب فرأى أحلام ، فقال :

ـ اللى جاى عشانهم يتزوقوا له .

فصاحت الأم فيه :

ـ خش اشطف بلاش قلة أدب •

وأسرع مراد الى الحمام ، واتجهت الأم الى زوجها • وقالت :

ـ كلمه بصراحه •• اسأله اذا كان ح يسكن لوحده والّلا ح يسكن مع أمه ، اذا كان ح بسكن مع أمه ما توافقش ، احنا لسه على البر ، واللا ح تتكسف زى عوايدك ؟

فقال وهو يدس رجله فى الحذاء :

ـ أكسف ازاى !

ـ آه • دى بنتنا ولازم نريحها •

وصمتت قليلا ثم قالت :

ـ تعرف يا حسين أنا يوم ما اتخطبت قلبى ما دقش زى النهارده • أنا مش عارفه مالى موهومه كده •• خايفه •• الا يا حسين سألت عليه كويس ؟

ـ كل اللى سألتهم عنه قالوا انه ابن حلال •

وسمع ارتطام حذاء بالباب الخارجى ، فصاحت الأم :

ـ نبيله ، افتحى لاخوكى •

وأسرعت نبيلة الى الباب وفتحته ، واذا بعاطف يدخل منفوش الشعر ، فى وجهه آثار عرق ممزوج بالتراب ، وقد حمل فى يده فردة حذاء وتدلى بنطلونه فبدت الفانلة من تحت قميصه القصير ، فصاحت نبيلة فيه وهى تجذبه من يده :

ـ ايه الوساخه دى ٠ تعالى ٠

وانطلقت به صوت الحمام وقالت لمراد :

ـ اغسله وشه وايديه معاك ٠

وتركته ، فانسل مسرعا الى حيث أمه ، فقالت له :

ـ روح اغسل وشك وتعال عشان ألبسك البدله الجديده ٠

فقال عاطف وهو يهز كتفه :

ـ قبله هاتى قرش ٠

ـ بعد ما تغسل وشك وتنضف ح اديك قرش ٠

ودق جرس الباب الخارجى ، فقالت الأم :

ـ سامى افتح ٠ جلال جه ٠

لكن رنين الجرس ظل متواصلا ، فقال سامى :

ـ دى سوسن ٠

ـ طب روح افتح لها ٠

وقال الأب وهو يرتدى جاكتته وينظر الى هندامه فى المرآة :

ـ الشيكولاته والملبس اللى اشتريتهم فين ؟

فقالت الأم :

ـ مع أحلام ٠

وأقبلت سوسن ، وفى يدها قطعة من كعكة عيد ميلاد ؛ واتجهت الى أبيها وقالت وهى تتمسح به :

ــ بابا اشمعنى جيرانا كلهم بيعملوا لأولادهم عيــد ميلاد ، واحنا ما بنعملش ؟

ومرر أبوها يده على شعرها فى حنان وقال :

ــ عايزه تعملى حفلة عيد ميلاد ليه ؟ عشان تاكلى جاتوه وشيكولاتة ؟ أجيب لك جاتوه وشيكولاته .

ــ لأ يا بابا . أنا مش عازيه أعمل عيد ميلاد عشان آكل جاتوه وشيكولاته ، عشان أعزم أصحــابى اللى بيعزمونى ؛ عشان يفرحوا ويهيصوا معايا ، زى ما بفرح وأهيص معاهم . النهارده بقيت قاعده معاهم مكسوفه ، لأنى عارفه انى مش ح اجيبهم فى عيد ميلادى ، لأنى ما ليش عيد ميلاد .

واكتسى وجه الأب بسحابة من الحزن ، وظل صامتا يغالب مشاعره ، تحرك الحنان فى صدره فكاد يضعف ويعد ابنته بحفلة عيد ميلادها ، وان كلفه ذلك ما لا يطيق ، واذا بزوجه تجذب سوسن من يدها فى رفق ، وتقول لها فى صوت فيه رنة أسى وحزن ، وان جاهدت أن ينبعث طبيعيا ، لا يشوبه ذلك الكدر الذى حركه حرمان ابنتها من أمنية عزيزة من أمانيها :

ــ اسمعى يا سوسن ، اللى بيعملوا حفلات عيد ميلاد

أولادهم بيكون عندهم ولد اتنين مش زينا ، احنا لو عملنا « عيد ميلاد » ح نعمل حفله كل شهر •

وتسرب ذلك الحديث الى آذان الأولاد ، فأقبل سامى ونبيلة وأحلام ومراد وعاطف ووقفوا عند باب الغرفة يصغون ، وكأنما شاءت هالة أن تعلن عن وجودها فراحت تعبث فى أصابع رجلها وهى مستلقية فى سريرها ، تصيح صيحات متتابعة •

وانبرت نبيلة تشد أزر أختها قالت :

ــ بلاش نعمل لكل واحد فينا عيد ميلاد ، نعمل عيد ميلاد واحد لنا كلنا •

فقالت الأم :

ــ ونختار تاريخ الحفله دى ازاى ؟

فقال سامى وهو يشمخ بأنفه :

ــ تتعمل فى عيد ميلادى أنا ، لأنى أنا أكبر ••

ولم تتركه نبيلة يتم جملته ، وقالت مقاطعة :

ــ ليه الأنانيه دى ؟

وقالت الأم منتهزه هذه الفرصة لتتخلص من هذه الورطة .

ــ ح تتخنقوا ! ياللا كل واحد فيكم على أودته •

وقالت أحلام فى هدوء :

ــ ولا خناق ولا حاجه • نعمل الحفله دى فى عيد ميلاد بابا •

وصاح الأولاد كلهم موافقين :

ــ أيوه عيد ميلاد بابا •

واندفعوا اليه يلتفون حوله ، وأمسكت سوسن ببنطلونه وصاح مراد :

ــ يحيا بابا •

ودق جرس الباب ، فقال الأب :

ــ جلال جه • ياللا يا سامى افتح له ودخله أودة الاستقبال •

وخرج سامى ، وانسلت أحلام ونبيلة من الغرفة ، وقالت الأم لمراد :

ــ ياللا روح اقلع هدومك اللى زى الزفت دى ، يا نبيله خدى عاطف لبسيه •

وعادت نبيلة وتناولت يد عاطف وخرجت به . وأسرعت سوسن لتنظر الى جلال من بعيد ، وبقى الزوجان وحدهما فى الغرفة ، فقالت الأم فى مرارة :

ــ طبعا يحبوك ويكرهونى أنا • ما انت دايما تصدرنى لهم • أنا اللى أقول ما فيش فساتين •• مافيش بدل •• مافيش جزم •• ما فيش خروج •• ما فيش فلوس •• ازاى يحبونى

•• أنا من بعد النهارده ما ليش دعوه بأولادك • انت اللى تربيهم •

فاقترب منها وقال :

ــ انــتى زعلــتى ؟ ! أهــم ولادى وولادك •• دول ما يقصدوش •

ــ دى مش أول مره • دول بيعاملونى زى ما اكون مرات أبوهم •

فقال وهو يبتسم :

ــ ولا يهمك • كفايه انك تكونى أمى أنا •

وأسرع عاطف ، بعد أن ارتدى ثيابا جديدة ، الى غرفة الاستقبال ، ووقف ببابها بالقرب من سوسن ينظر •

كان جلال جالسا فى المقعد المواجه للباب ، وكان سامى الى جواره . وقد ساد الصمت بينهما • ولمح جلال عاطف ، فقال له وهو يهم لاستقباله :

ــ تعال • .

فقال عاطف وهو يهز كتفه :

ــ لأ ••

ــ تعال عشان أديك حاجه حلوه •

فقال عاطف وهو يتقدم :

ــ هات قرش قبله •

واربد وجه سامى وصاح فى عاطف :

ــ ح اقطم رقبتك .

وقال جلال :

ــ سيبه .

وانطلقت سوسن كالعاصفة الى حيث كان والدها وقالت :

ــ ماما .. ماما .. الحقى . عاطف بيشحت من جلال قرش .

فقالت الأم فى عصبية :

ــ امشى هاتيه ، هى العيال دى ما تسترش أبدا .

ومد الزوج يده الى عقدة الكرافتة وأصلحها ، ثم سار الى غرفة الاستقبال ، وزوجته توصيه :

ــ ما تتكسفش .. اذا كان ح يسكن مع أمه الله الغنى عن دى جوازه .

ودخل الأب الغرفة ، فنهض جلال لاستقباله ، وتصافحا . وانسل سامى من الغرفة وراح يبعد اخوته عنها ، فيسمع الأب وجلال همهمتهم ، فيرفع الأب صــوته بالترحيب ليغــطى الضوضاء المنبعثة من الخارج :

ــ أهلا وسهلا . ازاى والدك ؟

ــ بخير والحمد لله .

واعتدل الأب فى جلسته ، وراح يجمع شتات نفسه ، فقد كان مقبلا على حديث خطير ، قال :

ـ أنا كل اللى سألتهم عنك قالوا انك طيب وابن حلال ، وأنا يابنى يشرفنى انى أدى لك بنتى ، بس أحب أقول لك ان العيشه اليومين دول صعبه ، كل حاجه غاليه ، فكرت ح تسكن بكام وح تعيش ازاى ؟ أيام أنا ما اتجوزت سكنت باتنين جنيه ونص ، وكل اللى كنت باصرفه على البيت تلاته جنيه ، كنت عايش بالمبلغ ده عيشة أمرا .. كنت باكل تفاح وموز وفراخ وحمام ، وبالبس حرير وصوف انجليزى ، أفصل كل ست اشهر بدله جديده .. كان القسط اللى بدفعه للترزى خمسين قرش .

وسمع طرق خفيف على الباب ، فالتفت الأب فرأى أحلام وبين يديها الصينية ، عليها صحاف من بلور ، نسقت فيها الشيكولاتة والملبس والجاتوه ، فنهض ليأخذ منها الصينية ، فاذا به يرى أبناءه جميعا قد اصطفوا خلف أحلام ، كانوا أشبه بالقطط التى جاعت على رائحة السمك .

وضع الأب الصينية أمام جلال وقال :

ـ اتفضل ..

ومد جلال يده وتناول قطعة شيكولاتة ، بينا راحت أحلام

تبعد اخواتها عن الغرفة فى رفق وتحول بينهم وبين الهجوم على الصينية المشتهاة .

ووجد جلال الفرصة سانحة ليتحدث ، فقال :

ـ حكاية الشقه فرجت .

ـ ازاى ؟

ـ بابا اتنقل المنصوره ، ح ياخد ماما معاه ، وح يسيب لى الشقه .

وأحس الأب راحة ، فقال وهو يزفر فى اطمئنان :

ـ عال .

ـ أما الأكل واللبس ..

فقاطعه الأب قائلا :

ـ الحاجات دى كلها مقدور عليها .

ونهض الأب مستأذنا ، وأسرع الى زوجته يزف اليها النبأ ، ويطمئنها أن ابنتها لن تعيش مع حماتها تحت سقف واحد .

واستطاع عاطف أن ينسل فى غفلة من الجميع الى غرفة الاستقبال ، وأن يذهب مباشرة الى الصينية ، وأن يغتنم الفرصة لينفرد بما فيها وحده ، وجلال يعاونه على فض أغلفة الشيكولاتة ، وفطنت سوسن الى غياب عاطف ، والى تسربه الى غرفة الاستقبال ، فخفت تشاركه الغنيمة . وأراد الأب



كانت فرصة ذهبية أن ينفردوا بالشيكولاتة والملبس والجاتوه

أن يعلن بطريقة عملية أن جلالا قد صار فردا فى الأسرة فأذن لأولاده جميعا أن يشاركوه جلسته •

وأقبل الجميع يسلمون عليه ، ودخلت الأم وصافحته فى شوق ، وما أن جلس الأولاد حتى رأوا فتك عاطف وسوسن بالشيكولاتة ، فخف كل منهم الى الصينية ليأخذ نصيبه •

وجاءت أحلام ، ومدت يدها الى جلال ، فاذا به يضغط على يدها فى حب ، والتقت عيونهما لحظة ، كان لها فى نفسيهما وقع السحر ، واتجهت الى كرسى قبالته وجلست ، فشاع فى المكان جو عجيب من الحب والهيام ، ما كان يعكره الا الأيدى الممتدة الى الصينية فى تتابع ، ونظرات الزجر التى كانت تسددها الأم الى أبنائها ، والتى كانوا يشيحون بوجوههم عنها ، كانت فرصة ذهبية أن ينفردوا بالشيكولاتة والملبس والجاتوه ، وأن يلتهموا ما يشاءون كما يشتهون تحت بصر أمهم وسمعها ، دون أن تقدر على زجرهم ، فرصة قلما يجود الزمان بمثلها ! •

أراد جلال أن يعلن أصهاره أن فى أسرته من يمتلك سيارة ، فدعا شفيق ابن خاله ليذهب معه فى اليوم المحـــدد لقراءة الفاتحة ، ودفع المهر والاتفاق على يوم الزفاف •

ووقفت السيارة أمام بيت حسين ، وهبط منها جلال وأمه وأبوه وشفيق ، كان شفيق شاب فى الرابعة والعشرين ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، خفيف الظل ، من ذلك الطراز الذى تهفو اليه القلوب من أول نظرة •

وكان عاطف وسوسن واقفين عند باب البيت ، فلما رأى عاطف جلالا ، أسرع يحييه ، فمد له يده مصافحا وقال :

ـ أهلا صاحبى ، انت جيت ؟

ورفعه جلال بين ذراعيه وقال له وهو يقبله :

ـ أهلا عاطف ، ازيك •

ووضعه على الأرض ، فرفع رأسه وقال :

ـ هات قرش بقى •

فوضع جلال يده فى جيبه وأخرج قرشا ، ووضعه فى كفه ، فقالت سوسن كأنما تعلن عن وجودها :

ــ اخص يا عاطف ، ح اقول لماما •

فقال لها عاطف :

ــ وانتى مالك ؟

ــ يا شحات •

ومد جلال يده فى جيبه وأخرج قرشا آخر وأعطاه لسوسن ، فتمنعت تمنع الراغب ، ثم أخذت القرش فى خفة ، وقالت لعاطف :

ــ تعال لما اشترى لك حاجه •

وابتعدا وجلال ينظر اليهما وهو فى طريقه الى البيت ، وقد وسع خطاه ليلحق بأهله الذين سبقوه الى السلم •

ودق الجرس ، فاذا بحسين يفتح الباب فى سرعة ، فقد كان يرصد مقدمهم ، ورحب بهم وقدم مصطفى علوان شفيقا الى حسين ، وجلسوا يتبادلون عبارات الترحيب ورائحة البصل المحمر فى السمن تملأ أنوفهم •

كان المطبخ على قدم وساق ، أحـلام تغـرف الطبيخ فى الصحاف ، والأم تحمر الدجاج ، ونبيلة وسامى ومراد يغدون ويروحون بين المطبخ والسفرة يحملون الصحاف والخبز والماء المثلج •

وقالت الأم :

ــ روحى انتى يا أحلام غيرى هدومك •

فقالت نبيلة ، وهى تجفف يديها فى « الفوطة » التى كانت ترتديها فوق ثوبها :

ــ واشمعنى أحلام ، ما اروح أنا رخره أغير هدومى •

فقال سامى متحديا ومتأهبا للشجار :

ــ هو ما فيش حد بيعمل حاجه ، الا لازم تعملى زيه ؟ ما تقولى لازم أتجوز أنا رخره •

ــ وانت حاشر نفسك فى كل حاجه ليه يا بايخ ؟ •

فقالت الأم :

ــ هس •• انكتموا وخللو عندكم دم ، الناس جوه • ياللا غوروا كلكم من وشى • مش عايزه حد منكم هنا •

وانسلوا من المطبخ ، وراحوا يرتدون ملابسهم • كأنما كانوا فى سباق ، وخرج ســامى من غرفته يرتدى الحذاء والقميص والجاكتة ، وهو يهرول صوب غرفة الاستقبال ، واذا بعاطف يضحك ضحكات عالية ، وأطلت أحلام ونبيلة برأسيهما ، ومراد يقول :

ــ سامى ح يقابل الناس من غير بنطلون •

ونظر سامى الى ساقيه العاريتين ، ثم عاد مهرولا الى غرفته ، فقالت له نبيلة وهى ترمقه فى زراية :

ـ بلاش خفافة والنبى •

وأتمت أحلام ارتداء ملابسها وتقدمت فى تؤدة إلى غرفة الاستقبال ، وما ان لمحها مصطفى علوان حتى قال مرحبا :

ـ أهلا •• أهلا بعروستنا •

ونهضوا جميعا لاستقبالها ، وصافحتهم واحدا واحدا ثم استدارت لتجلس فى كرسى بعيد ، فقال شفيق وهو يفسح لها مكانا الى جوار جلال :

ـ ح تروحى فين ؛ محلك بقى هنا •• جنبه •

وأطرقت رأسها حياء ، ثم اتجهت الى الكرسى المجاور لكرسى جلال وجلست •

وجاءت نبيلة فى خطوات راقصة ، وتقدمت ثابتة الخطو وسامى ومراد خلفها ، وقالت وهى ترفع يدها الى رأسهـا بالتحية :

ـ السلام عليكم •

ورد الجميع :

ـ وعليكم السلام •

واتجهت الى مقعد مواجه لمقعد شفيق وجلست ، وقعد بالقرب منها سامى ومراد •

ولاحظت أم جلال أن نبيلة تطيـل النظر الى شفيق فى استغراب ، فقالت :

ـ شفيق ابن خال جلال ، كانوا سوا فى المدرسة ، انتقلوا مع بعض من فصل لفصل ، لغاية ما خلصوا الجامعه سواء ٠

وأقبلت زينب وصافحت الجميع ، وما ان اســتقرت فى مقعدها ، حتى أخرج جلال من جيبه علبة صغيرة من المخمل الأحمر ، وفتحها وتناول منها دبلة راح يضعها فى أصبع أحلام ، وقد أطرقت خجلا ، وان كانت كل خالجة فيها تنطق بالفرح ٠

وقال له شفيق :

ـ حيلك ٠ مالك مستعجل كده ؟

فقال والد جلال :

ـ خير البر عاجله ٠

والتفتت أم جلال الى زينب وقالت :

ـ ما فيش حد يعرف يزغرط ؟

ولم تنبس زينب بكلمة ، كانت الدموع تترقرق فى مآقيها ، وأحست أن الأنظار ستتجه اليها ، فنهضت وقالت :

ـ اتفضلوا ٠

وقام الجميع ، وقال شفيق وهو يفسح الطريق لأحلام وجلال :

ـ العريس والعروسه الأول ٠

فقال جلال لوالده ووالد أحلام ، وهو يشير بيده :

ـ اتفضلوا ٠

فقال مصطفى علوان وهو يبتسم :

ـ انتم الأول النهارده ـ دا احنا ما جيناش الا عشانكو ٠

وتقدم جلال وأحلام ، ثم سار الجميع خلفهم ، ومراد يشق طريقه بينهم ، والتفت شفيق ، فاذا بنبيلة تسير الى جواره جنبا الى جنب ، فرفت على شفتيه بسمة رقيقة ٠

وجلسوا حول المائدة ، جلال والى جواره أحلام والى جوارها والدة جلال ، ثم نبيلة فسامى ، وجلس مصطفى علوان فى صدر المائدة ، وجلس حسين أمام جلال والى جواره زوجته ثم شفيق ومراد ٠

ومدت أم جلال يدها ، ورفعت الأطباق من أمام أحلام وقالت :

ـ النهارده تاكلى انتى وجلال فى طبق واحد ، عشان ما تفترقوش عن بعض أبدا ٠

وأطرقت أحلام حياء ، وقالت أم جلال لابنها :

ـ اقطع لقمه وغمسها فى الملح وكلوها سوا ، عشان يبقى بينكو عيش وملح ٠

وابتسم جلال ، وبقى مترددا برهة ، فقال شفيق مشجعا :

ـ يللا يا جلال ياللا ٠

وتناول جلال لقمة خبز غمسها فى الملح ، ثم قسمها جزأين ، وغيب جزءا فى فمه ومد يده بالجزء الآخر الى فم أحلام ،

فالتقمته وقد تضرج وجهها بلون الدم ، والتقت عينا شفيق بعينى نبيلة ، فاذا بها تتفجر ضاحكة ، فسددت اليها أمها نظرة زجر قاسية •

وقال حسن وهو يشير بيده الى الطعام المكدس على المائدة :

ــ اتفضلوا •

وقال شفيق وهو يعرف الحساء بالمغرفة :

ــ ياما حضرت خطوبات كتير ، وكتب كتاب وأفراح ، ما شفتش حكاية العيش والملح دى ولا الأكل فى طبق واحد •

فقال حسين وهو يبتسم :

ــ اللى يعيش ياما يشوف •

فقال مصطفى وهو يضحك :

ــ مهما عاش مش ح يشوف اللى شفته •

والتفت الى زوجته وقال مداعبا :

ــ الست دى ياما ورتنى ، ورتنى كتير •

ورمقته زوجته من طرف عينيها وقالت :

ــ يا راجل عيب •

ــ هو انا قلت حاجه ! أنا قلت انك ورتينى كتير ، لكن ما قلتش ورتينى ايه ، يمكن ورتينى حاجات حلوه كتير •

وشاع السرور ، وتوجت الابتسامات الشفاه ، وراح جلال وأحلام يتناولان طعامهما فى طبق واحد ، وتعمد جلال أن تمس

يده يد أحلام ، والتقت عيونهم أكثر من مرة فى لمحات كانت أفصح من حديث طويل •

وانتهز مراد فرصـــة انشغال الجميع فى الحديث ، فترك الشوكة والسكين وراح يعالج قطعة الدجاج بيده •

وعلى حين فجأة ارتفع بكاء هالة ، فوقف فم أمها عن الحركة ، وقطبت جبينها ، ثم التفتت الى نبيلة وقالت :

ــ هاتى أختك •

ــ ونهضت نبيلة وغادرت المائدة ، وصوت هالة يدوى فى المكان ، وأراد مصطفى أن يزيل ذلك الحرج البادى على وجه أمها وأبيها فقال :

ــ عقبال ما نفرح بيك يا شفيق •

فقال شفيق وهو يدس ورك دجاجة فى فمه :

ــ قريب أن شاء الله •

فقالت له أم جلال :

ــ ما كنت بتقول مش ح تتجوز أبدا •

فقال حسين :

ــ الجواز نص الدين •

فقال شفيق مبتسما :

ــ دا النص الحلو فيه •

وعادت نبيلة تحمل هالة ودفعت بها الى أمها ، فأجلستها

على فخذها ، وراحت هالة تعبث بكل ما تصل اليه يدها ، عبثت بالشوكة مرة ، وبالسكين مرة أخرى ، ثم وضعت كفها فى طبق به ملوخية ، ورفعته ومررته على وجه أمها ، وتحملت الأم مضايقات ابنتها فى صبر ، وان كان الحنق يكاد يمزق صدرها •

وانتهوا من تناول طعامهم ، فغادروا المائدة وعادوا الى غرفة الاستقبال الا مصطفى وحسينا اتجهوا الى المكتب •

وأخرج مصطفى من جيبه رزمة أوراق مالية ، ودفع بها الى حسين ، وهو يقول :

ــ الشقه بعد أسبوعين ح تكون فاضيه ، اللى تشتروه تقدروا تبعتوه على هناك على طول •

فقال حسين وهو مأخوذ :

ــ ان شاء الله •

ــ ربنا يتمم بخير •

ولاحظ مصطفى أن حسينا يعانى ذلك القلق الذى يحسه المقدم على مغامرة ، فقال له ليرفه عنه :

ــ دا كل شىء قسمه ونصيب ، أنا ربنا رزقنى بالست بتاعتى كانت سبب سعدى ، فهمتها وعرفت بركتهـــا فين ، ماكنتش أعمل حاجه الا لما آخد رأيها فيها ، وان قالت يمين أنا أعمل شمال ، أعمل عكس رأيها على طول الاقى الحاجه مشيت وبقت عال •• ده توفيق كبير •• رضا •

وابتسم حسين وقال :

ــ ان اتزنقنا فى حاجه نبقى ناخد رأيها •

ــ خلاص بقى بقينا أهل ، وادى انت عرفت السر •

ونهض مصطفى وقال :

ــ يللا نقعد مع الأولاد •

واتجها الى غرفة الاستقبال ، ودخل مــراد الى الشرفة ينظر ، فرأى عاطفا وسوسن يعبثان فى سيارة شفيق ، ويفرغان الهواء من احدى العجلات ، فأسرع الى أبيه وقال له هامسا .

ــ عاطف وسوسن فسوا عجلة الأوتومبيل •

فأشار الأب برأسه الى سامى أن يتبعه ، وخرج من الغرفة ومراد معه ، فاذا بسامى ينهض ويتجه اليهما ، وقال الأب :

ــ العفاريت فسوا عجلة الأوتومبيل ، لازم تنفخها بأى طريقه •

فقال سامى :

ــ آخد مفاتيح العربيه من شفيق واشوف عنده منفاخ ، وأنفخها •

فقال الأب لسامى :

ــ أنا عايزك تنفخها من غير ما يعرفوا •

فقال سامى :

ــ ح انفخها ببقى !

وقال مراد :

ــ أنا ح اروح للعجلاتى • وح اخليه يجيب منفاخه وييجى ينفخها •

والتفت الأب الى سامى وقال له :

ــ هو انت ما تعرفش تتصرف أبدا ؟

وهرول مراد منصرفا ، وعاد الأب وسامى خلفه شـــامخا بأنفه ، وما ان لمحته الأم حتى نادت :

ــ سامى ، تعال •

ودنا منها ، فقالت له هامسة :

ــ خد نبيلة وروحوا شيلوا الأطباق والحاجه من على الترابيزه •

والتفت ناحية نبيلة ، فألفاها تتحدث مع شفيق وجلال وتضحك ، فرآها فرصة سانحة ليعكر صفوها فقال بصـــوت عال :

ــ نبيله • تعالى •

والتفتت اليه نبيلة فى ضيق وقالت :

ــ ايه ، عايز ايه ؟

وأحست الأم بداية العاصفة ، فقالت فى حزم :

ــ نبيله روحى معاه •

وسار سامى ونبيلة خلفه ، حتى اذا ابتعدا عن الغرفة قليلا ، قالت :

ــ نعم ؟

فأشار اليها بأصبعه ناحية المائدة ، فقالت له فى غيظ :

ــ ما تنطق عايز ايه ؟

ــ عايزينك تشيلى الأطباق اللى ع الترابيزه •

وكانا قد وصلا الى المائدة ، فراح سامى يستعرض ما عليها بنظرة ازدراء ثم قال :

ــ أنا عارف هوانم ايه اللى ياكلوا ويسيبوا الترابيزه بالشكل ده !

ــ اذا كنت ح تشتغل ، اشتغل من غير ما تتنفس بكلمه أحسن لك •

وراحا يتنقلان بين المائدة والمطبخ ، يحملان الملاعق والسكاكين والشوك والصحاف ، دون أن يتبادلا كلمة • كان سامى يحمل الأشياء وذراعاه مبسوطتان حتى لا تتسخ ثيابه ، بينا تسير نبيلة على أطراف أصابع قدميها ، كأنها ترقص على مسرح •

وبدأت فى جمع الفوط ، ووجدت كوبا موضوعا فوق فوطة ، فجذبت الفوطة بقوة ، فصارت فى يدها بينما ظل الكوب على المنضدة • ورأى سامى ما فعلته ، فأراد أن يقلدها ، جذب

فوطة ليخلصها من طبق موضوع فوقها ، فصارت الفوطة في يده ، ولكن الطبق سقط على الأرض ودوى صوت تكسره ، وصك الصوت أذنى الأم فضمت هالة اليها فى غيظ ، وان ظلت البسمة تتوج شفتيها .

ولاحظ مصطفى كثرة تلفت حسين صوب البـــاب ، فقام وقال :

ـ نستأذن بقى .. يللا يا جلال .

فقال شفيق :

ـ اذا كان على جلال مش عايز يمشى أبدا .

وقال حسين وزوجته :

ـ والله ما انتو نازلين دلوقت . بدرى .

واتجه حسين الى مصطفى وقال له وهو ينظر فى الشرفة ، ويرى مراد و « العجلاتى منهمكين فى نفخ عجلة السيارة ،

ـ والله لانت قاعد .

وقال شفيق وهو ينهض :

ـ ما تيجو معانا فى العربيه تشموا هوا .

فقالت زينب وهى تنظر الى هالة :

ـ والأولاد !

ـ ييجوا معانا .

فقالت الأم وهى تبتسم :

ــ هو دا معقول • هو فيه عربيه تاخدنا كلنا الا اذا كانت أمنيبوس •

واشرأب حسين بعنقه ، ونظر من خلال الشرفة ؛ فوجد مرادا والرجل منهمكين فى نفخ العجلة ، فقال وهو يجلس :

ــ والله ما انتو نازلين دلوقت • اقعدوا شويه •• اقعدوا •• قهوه يا نبيله •

فقال مصطفى :

ــ والله ما احنا قادرين نشرب حاجه ، نقعد ولا نشربش •

فقال حسين وهو يتنفس فى راحة :

ــ طب اقعدوا •

وجلسوا ، وأقبلت نبيلة وسامى ، وقال شفيق وهو يحاول أن يقهر نفسه ويرغمها على عدم التطلع الى نبيلة :

ــ طب نيجى بكره ناخدكم ونتفسح شويه •

فقالت زينب :

ــ كتر خيرك ، وما تتعبشى نفسك ، مش ح نقدر نخرج •

وقال جلال ، دون أن يحيد نظره عن أحلام :

ــ ناخذ الأولاد •

وضحك مصطفى وقال :

ــ ما بلاش لف ودوران وتقولوا انكم عايزين تفسحوا أحلام •

وأطرقت أحلام فى خفر ، وقالت نبيلة في بساطة :

ــ ليه ما نتفسحش بكره ، ما فيش ورانا حاجه ؟

وحدجتها أمها بنظرة تأنيب ، وقال لها أبوها :

ــ انتى حاشره نفسك ليه ؛ هو حد عزمك ؟

وقال سامى :

ــ زى البصل محشوره فى كل حاجه .

وقال شفيق :

ــ بكره نيجى ناخد أحلام وسامى ونبيله .

وقالت الأم :

ــ والنبى ما تفتحش على نفسك الفاتحه دى .

وقال سامى :

ــ بكره الساعه خمسه تلاقونا جاهزين .

وجاء مراد وفى يديه ووجهه آثار شحم ممزوج بالتراب ، والعرق يتفصد من وجهه ، ووقف بعيداً وجعل يشير لأبيه بيديه أن النفخ قد انتهى ، وأنه يريد نقودا للرجل .

وهم أبوه بالذهاب اليــه ليعطيه ما يطلب ، ولكن الأم لمحته ، فصاحت :

ــ درمغت نفسك فى ايه كده ، ركبت عجل تانى ؟

فقال مراد وهو ينظر الى أبيه :

ــ هو عارف .. هو اللى قال لى .

ـ قال لك تدرمغ نفسك كده !

وكان أبوه قد وصل اليه ، وأعطاه نقودا فانصرف مهرولا ، ورأت الأم ذلك فقالت لزوجها فى تأنيب :

ـ بقى يوسخ نفسه وتديه فلوس ! أنا مش فاهمه •

وأحست أن الأنظار اتجهت اليها ، فكظمت غيظها وقالت :

ـ أهلا وسهلا • شرفتونا •

وقال مصطفى وهو ينهض :

ـ نستأذن بقى •

وقال حسين :

ـ خليكو على راحتكو •

وكان ذلك ايذانا بالانصراف ، فنهض الجميع وراحوا يتصافحون ، وقد اختلطت أصواتهم ، وظل جلال يهمس بحديثه لأحلام ، وكان آخر من انصرف •

وخف حسين وزوجه وسامى وأحلام ونبيلة ومراد الذى عاد بعد أن أعطى الرجل نقوده الى الشرفة يرقبون ضيوفهم وهم ينصرفون •

أسرع شفيق يفتح أبواب السيارة ، وتقدم مصطفى وزوجته فى تؤدة ، بينما حمل جلال عاطفا بين يديه وقال له :

ـ عملت ايه بالقرش ؟

ـ اشتريت طباشير •

ـ فين هو ؟

ـ خلص • كتبت بيه ع الأتومبيل •

ونظر جلال الى السيارة فاذا بها قد غطيت بخطوط ودوائر بيضاء ، وأن بابها كان أشبه بسبورة كتب عليها : زرع • درس • وزن • فقد شاركت سوسن أخاها فى استهلاك الطباشير •

ووضع جلال عاطفا على الأرض ، وضربه مداعبـا على مؤخرته ، وقال له :

ـ اطلع على فوق •

ورفع بصره ، فانجذب الى أحلام ، كأنما لم يكن فى الشرفة غيرها ، فابتسم لها ولوح بيده مودعا ، ثم سار الى السيارة وركب الى جوار شفيق •

وغابت السيارة عن العيون ، فقالت الأم :

ـ ياللا • كلكو ع المطبخ •

وقالت نبيلة :

ـ يا ماما ورايا مذاكرة •

ـ اشمعنى المذاكره حليت دلوقت ؟ قدامى ع المطبخ اللى سايبينه لايص وواقف على رجل •

وانسلت أحلام ونبيلة وسـامى ومراد ، وبقى الزوجان

وحدهما فى الغرفة ، فالتفتت الزوجة الى زوجها وقالت :

ــ هيه • عملت ايه مع مصطفى ؟ •

ــ دفع لى المهر •

ــ وقلت له ان النجف والشمع وحاجة المطبخ عليه هو انه يجيبها ؟

ــ ما قلتلوش •

ــ ما قلتلوش ليه ؟

ــ ما جتش فرصه •

ــ ما جاتش فرصه واللا انت اللى انكسفت ؟

ــ والله أنا مش فاهم الكلام ده • اشمعنى العريس يجيب النجف والشمع وحاجة المطبخ ؟ •

ــ الدنيا كلها ماشيه على كده •

ــ ما شفتش حد ماشى على كده الا انتو •

ــ قصدك تقول اننا خليناك تجيب حاجات ما حدش يجيبها ؟ !

كل العرسان بتجيب الحاجات دى ، وان ما كنتش مصدقنى اسأل •

ــ ولا بسأل ولا حاجه •

ـــ بلاش ، أصل فلوسك كتير ، قال على رأى المثل •

ـــ ما تقولى المثل أيه •

ـــ أنا عارفه ؟ !

وذهبت الى المطبخ ؛ وانطلق خلفها ليعاون أولاده ، وهو يغمغم :

ـــ قال على رأى المثل : « عقلك فى راســك ، اعرف خلاصك » •

الفصل التاسع

كانت الردهة خالية ، ولكن لم يكن للصمت فيها مكان ، فالأصوات منبعثة من غرفة الوالدين ، وغرفة الأولاد وغرفة البنات ، كان الجميع يتكلمون وما كان أحد يصغى الى ما يقال •

وقالت الأم :

ـــ بس يا مراد ، انزل يا عاطف من ع الكرسي ، وانتى يا سوسن ابعدى من هنا بلاش وجع دماغ •• أوه يا سامى بلاش مناهده بقى •• ما كفايه يا نبيله كلام •

فكانت أشبه بمذيع فى مباراة كرة حامية •

وخرجت أحلام من غرفتها ، ترتدى ثوبا ورديا ، ضاق عند خصرها غاية الضيق حتى ليحار المرء اذا ما فكر كيف مر ذلك الثوب من صدرها الممتلىء عند ارتدائه ، واتسع غاية السعة عند طرفه ، وزينت جيدها وأذنيها وصدرها بعقد وأقراط و « بروش » من طراز واحد ، وكان شعرها ينطق ببراعة الحلاق •

ومرت فى الردهة ، والأصوات تتناثر هنا وهناك ، فلم تحفل بها ، كانت مشغولة بنفسها تعيش للحظة التى سيقدم فيها جلال ليأخذها لأول نزهة بكل حواسها ، والتفتت الى الساعة المعلقة فى الردهة ، فاذا بها الخامسة الا خمس دقائق ، فقالت :

ــ ياللا يا نبيلة زمانهم جايين .

فقالت نبيلة وهى تديم النظر فى وجهها فى المرآة :

ــ أنا خلاص لبست .

وقال سامى وهو يحاول أن ينيم شــعره الذى كان أشبه بعرف الديك :

ــ وانا جاى اهه .

ودنا مراد من أبيه وقال فى غضب :

ــ واشمعنى سامى اللى يروح معاهم ؟

فقالت له الأم :

ــ المره الجايه تروح معاهم .

وقال سامى فى غطرسة :

ــ حتى انت ليك نفس : يا شيخ روح طلع الحبر من صوابعك قبله .

وقال مراد فى عناد :

ــ لازم اتفسح النهارده . ماليش دعوه .

ودنت سوسن من أمها وقالت :

ـ عايزين نتفسح ـ اشمعنى هم يخرجوا ؟

وأسرع عاطف الى أبيه ، وقال له :

ـ آه يا بابا نتفسح ، والنبى نتفسح •

ورق قلب الأب لأولاده ، فقال لهم :

ـ طب البسوا وأنا افسحكم •

فقال سامى وهو فى طريقه الى غرفة أبيه :

ـ يا بابا تاخد مراد معاك ازاى وشعره طويل كده •• لما يحلقه قبله •

فقا لمراد فى تحد :

ـ وانت مالك ؟

ـ ما هو يا ماما ••

فقاطعته أمه :

ـ بس ما لكش دعوه بيه • روح أنت مطرح ما انت رايح •

وقالت سوسن وهى تتمسح بأبيها :

ـ هم ح يركبوا أتومبيل •

فقال لها الأب :

ـ ح أركبكم أتومبيل •

وقال عاطف فى فرح :

ـ وانا اللى أسوقه •

فقال الأب وهو يعبث فى شعره فى حنان :

ــ وانت اللى تسوقه •• ياللا روحوا البسوا •

وخرجوا من غــرفة أبيهم فرحين ، مراد يخــلع جلكتة بيجامته ، وسوسن تحاول أن تخلع ثوبها وهى فى طريقها الى غرفتها ، وعاطف يصيح :

ــ لبسونى •• لبسونى ••

وقالت أمه وهى تضع هالة بجوار أبيها :

ــ طيب • أنا جايه البسك •

والتفت الأب الى هالة وقال مداعبا :

ــ وانتى •• مش عايزه تتفسحى ؟

فقالت الأم وهى تهم بمغادرة الغرفة وعاطف فى يدها :

ــ يا ريت تاخدها معاك وتريحنى •

ونظر الأب الى هالة ، فاذا بعاطفة الحنان تتحرك فى جوفه ، واذا بأساريره تتبسط ، واذا به يمد يديه ويحملها ، ويضمها الى صدره ويقبلها •

وبلغ صوت نداء سيارة آذان الجميع ، فحدث فى الشقة هرج شديد ، راحت أحلام تهرول صوب باب الشقة فى فرح وفى أثرها نبيلة وسامى ، وقد أخذ سامى يصيح :

ــ أيوه • نازلين •

وقالت سوسن فى غضب :

ــ اشمعنى هم ينزلوا قبله •

وجرى عاطف الى والده حافى القدمين ، وجذبه من بنطلونه الذى كان يرتديه ، وقال له :

ــ ياللا احنا كمان ننزل بقى •

فقال له أبوه وهو يدفعه فى رفق :

ــ روح كمل لبسك ، وتعال ننزل •

وخف مراد الى الشرفة يرقب أخوته •

تقدمت أحلام الى السيارة فى دلال ، وان كانت المشاعر الرقيقة المنبعثة فى جوفها انعكست على مرآة وجهها ، وضيقت من خطوها ، ولو طاوعت نفسها وأطلقتها على سجيتها لهرولت وهى تنادى : « جلال •• جلال » •

وتقدمت نبيلة فى رشاقة كأنما تسير على أطراف أصابعها ، وقد شمخت برأسها فى كبرياء ولم تغير صفحة وجهها مسحة من كبر ، وسار سامى وهو ينقل عينيه بين أحلام ونبيلة والسيارة • كان كالمراقب الذى يخشى أن تشرد منه شاردة ، أو يأتى أحد المراقبين بحركة فى غفلة منه !

وقفز شفيق من السيارة فى رشــاقة وفتح بابيها ، فحيته أحلام بايماءة من رأسها ، ومدت بصرها فألفت جلالا جالسا خلف عجلة القيادة ، فصعدت لتشاركه فى المقعد الأمامى وهى تقول فى نبرات مشحونة بالعاطفة المشبوبة :

ــ مساء الخير •

فقال جلالا مغازلا :

ــ مساء النور ، مساء الجمال •

وقالت نبيلة وهى ترفع يدها الى رأسها ، فقد نسيت كبرياءها المصطنعة ، وعادت الى طبعها :

ــ السلام عليكم •

فقال شفيق وجلال :

ــ عليكم السلام •• أهلا •

ومدت يدها وصافحت شفيقا ، ثم صعدت الى المقعــد الخلفى ، وهى تمد يدها الى جلال لتصافحه •

وهز سامى رأسه محييا ، وغمغم بعض كلمات لم يفهم منها شىء ، ولكنها أولت على أنها تحية • ووقف برهة مترددا يفكر • واذا به لأول مرة فى حياته يتمنى لو أن أحد اخوته قد جاء معهم ، حتى يجلس بين أحلام وجلال ، بينا يجلس هو بين نبيلة وشفيق ، حتى يطمئن الى عدم تماس أجسام البنات بأجسام الشباب •

وفى مثل لمح البصر تذكر أن هناك خطبة بين أحلام وجلال ، وأنه لا غضاضة من تركهما جالسين فى مقعد واحد دون عازل ، ما داما تحت بصره وسمعه ، فصعد وجلس الى جوار نبيلة ، وقعد شفيق الى جواره وأغلق باب السيارة خلفه •

وانطلقت السيارة ، وقال جلال وهو ينظر الى أحلام :

ـ تحبوا تروحوا فين ؟

قالت نبيلة فى نشوة :

ـ نروح الهـرم ، أنا ما رحتوش من أيام ما كنت فى ابتدائى ، لكن لسه فاكره المنظر الجميل اللى شفته هناك ساعة الغروب ، منظر بديع ، كانت الشمس وهى نازله زى ..

وقال سامى مقاطعاً :

ـ ايش ودانا لهناك ؟

فقال شفيق وهو يديم النظر الى نبيلة ، دون أن يأبه لعينيى سامى المحملقتين :

ـ فكره جميله ، أنا موافق ع الهرم .

وقال جلال لأحلام :

ـ وانتى ، رأيك ايه ؟

فقالت وهى تغوص فى مقعدها :

ـ مطرح ما تحبوا .

فقال شفيق :

ـ يعنى موافقه . خلاص نبقى أغلبيه . ع الهرم .

وصمت سامى على مضض ، وان راح يمضغ غيظه ، وقال شفيق لنبيلة :

ـ كملى . كنتى بتقولى : كانت الشمس وهى نازله زى .. زى ايه ؟

فقالت وهي تضحك :

ـ والله ما انا فاكره ، أنا لما حد يقاطعنى وانا باتكلم يطير كل اللى فى مخى .

فقال سامى فى شماتة :

ـ الحمد لله انه طار ، والا كنا ح نفضل نسمعك للصبح .

فقالت له فى تهديد :

ـ سامى ، لم لسانك أحسن لك .

وأحس جلال أن الجو بدأ يتكهرب ، وأن نقاش نبيلة وسامى سيخرجه من الجو الشاعرى الذى بدأ يستشعره ، وهو قابض على عجلة القيادة وأحلام الى جواره ، والنيل ينساب رقراقا كمرآة سحرية تعكس أفانين من الجمال ، تفجر ينابيع الحب والهيام ، فضغط على زر راديو السيارة فاذا بأنغام عذبة تنبعث حنونة ، فتهدىء الأعصاب التى بدأت تثور ، وتجعل الجميع يسترخون حالمين فى مقاعدهم .

ودنت أحلام من جلال ، ومالت برأسها نحوه ، ثم أسندته على مسند المقعد ، وراح شفيق ونبيلة يتبادلان النظرات ، ثم يطبقان الأجفان حتى لا تفر رؤى الأمانى العذاب ، التى كانت الموسيقى تفتق مواهبها !

ونظر جلال الى أحلام ، فألفاها ترمقه بعينين والهتين ، فيهما حب وفيهما رغبة وفيهما نداء ، فراح يديم اليها النظر ،

وتخاطبت العيون ، وانبثقت الأحاسيس ، وولدت اللحظات المسحورة التى تنتشى فى ذاكرة المحبين ، وتختزن فى سويداء القلوب ، لتعيش الأفئدة عليها فى السنين العجاف .

وفقد جلال سيطرته على حواسه ، كان فى شبه غيبوبة ، استرخت قبضته على عجلة القيادة فاذا بالسيارة تنحرف ، وتكاد ترتطم بشجرة ضخمة من الأشجار المغروســة على جانبى الطريق .

وصاح سامى فى فزع :

ــ حاسب ح نروح فى داهيه .

وأفاق جلال من حلمه ، وفى مثل لمح البصر سيطر على السيارة ، وأبعدها عن الخطر ، فأحدث احتكاك العجل بالأرض صوتا غطى على صوت الموسيقى ، ولكن سرعان ما تلاشى ، وسرت مرة أخرى الألحان الحالمة .

وتأهب من فى السيارة ليستأنفوا شرودهم اللذيذ ، واذا بصوت سامى يعكر صفاءهم :

ــ والنبى تدور لنا محطه غير دى .

ومد جلال يده الى الأزرار ، والتفت سامى الى نبيلة وقال :

ــ شورتك كانت ح توديـنا فى داهيه .. كان لازم الهرم ؟! حبكت !

فقال شفيق :

ــ حصل خير •• مين عارف كان ح يحصل ايه لو كنا رحنا فى حته تانيه •

وأرضى نبيلة انبراء شفيق لتأييدها والدفاع عنها ، فمنحته بسمة اعترافا منها بجميله •

وانطلقت السيارة حتى اذا لاحت الأهرام فى الأفق ، قالت نبيلة فى انشراح :

ــ الأهرام أهيه •• مش عارفه أنا فرحانه كده ليه ، متهيألى انى رجعت عيله صغيره •• عايزه أنتطط وإجرى ، تعرفوا لو توافقونى على عقلى ، تقفوا هنا وانزل أجرى •• أجرى لغاية ما أصل الهرم •

فقالت أحلام ، وهى تبتسم :

ــ تجرى من هنا لهناك ؟ • كان انقطع قلبك •

وملا شفيق رئتيه بالهواء وقال :

ــ حاجة لطيفه • تيجوا نوقف العربيه ونجرى شويه •

فقال له جلال :

ــ اعقل •

فقال شفيق :

ــ والله نفسى أجرى • بقى لى زمان •

ــ طب استنى لما نوصل فوق •

ونظر شفيق الى نبيلة ، وقال دون أن يبعد عينيه عنها :

ـــ سامى • تسابقنى ؟

فقال سامى فى غرور :

ـــ ح اسبقك • ما فيش كلام •

فقال شفيق :

ـــ الميه تكدب الغطاس •

وقالت نبيلة :

ـــ وانا ح اخش معاكم فى السباق ده •

فقال لها سامى :

ـــ نفسى تبطلى غلبة ، ولا تحشريش نفسك فى اللى مالكيش فيه •

وصعدت السيارة المنحدر ، ووقفت عند سفح الهرم الأكبر ، وفتح شفيق الباب وهبط يتبعه سامى ثم نبيلة ، بينا ظل جلال وأحلام فى مكانهما يصغيان الى الموسيقى •

ودارت نبيلة دورة على أطراف أصابع قدميها ، وقالت :

ـــ احنا مش عايشين • آدى الحياة •

فقال لها سامى وهو يهز رأسه آسفا •

ـــ نفسك تسيبى على طول •

ـــ نفسى أبقى حره •• طليقه •• زى النسيم •

فقال لها سامى :

ـــ ح نمثل •• شياطين الفن ح تتحرك •
فدنا منه شفيق وقال له :
ـــ انت فى سنه ايه ؟
ـــ أولى ثانوى •
فقال شفيق فى استنكار :
ـــ لسه أولى ثانوى •
فقالت نبيلة وهى تضحك :
ـــ ما هو أولى ثانوى دلوقت •• يعنى تالته ثانوى زمان •
ـــ دى حاجه تلخبط • ما افهمش حاجه فى النظام الجديد ده أبدا لدرجة انى فكرت مره أعمل جدول معادلات •• وانتى فى سنه ايه ؟
فقالت فى فخر :
ـــ فى تالته ثانوى •
ـــ ودى تساوى ايه فى جدول المعادلات ؟
ـــ توجيهى •
ـــ وناويه بعد ما تخلصى تقعدى فى البيت زى أحلام ؟
فقالت وهى تشب على أصابع قدمها :
ـــ لأ •• ح اروح الجامعه ، وح ادخل كلية الطب •
فقال لها سامى :
ـــ دا بعدك •
ـــ بكره تشوف •

ـــ بكره تشوفى أنت •

وقال شفيق :

ـــ ياللا مش ح نتسابق ؟

وراح يخلع جاكته ، ففعل سامى مثله ، ومد شفيق اليه يده بالجاكتة وقال :

ـــ والله لو تسمح تودى الجاكتة دى معاك فى العربيه •

وتناول سامى الجاكتة ، وذهب الى السيارة ، وأحست أحلام دنوه فرفعت رأسها عن صدر جلال ، والتفتت اليه ، فاذا بجلال يلتفت ويقول :

ـــ ناويين على ايه ؟

ـــ ح نتسابق •

واقترب شفيق من نبيلة وقال لها :

ـــ وليه ما تقعديش فى البيت زى أختك؟

ـــ أقعد فى البيت أعمل أيه ؟

ـــ تعملى زيها •

ـــ أملا قلل واغسل واطبخ وامسح • لا •• دانا ح ابقى دكتوره •• دكتوره مشهوره •• أنا شايفه اليافطه دلوقت على العياده •• « الدكتورة نبيلة حسين » •

ـــ بقيتى دكتوره مشهوره • وبعدين ؟

وقالت مفكرة :

ـــ وبعدين ؟ وبعدين ؟ مش عارفه •• ما فكرتش •• كان أملى انى أبقى دكتوره •

وابتسم شفيق ، ووصل اليهما سامى ، وقال :

ـــ ياللا • اقفوا جنبى هنا ، شـــايفين الحجر الكبير اللى هناك ده ؟ ح نجرى لعنده ونرجع للعربيه •

واصطفوا صفا واحدا ، والتفت سامى الى السيارة وقال :

ـــ أحلام • خدى بالك • ح نبتدى •

وقالت أحلام دون أن تلتفت :

ـــ حاضر •

واستأنف جلال حديثه وأحلام ترنو اليه فى وله :

ـــ تعرفى ، نفسى اكون أنا وانتى لوحدنا فى جزيره ، ما شفش غيرك ولا تشوفيش غيرى ، واســـمعك لوحدى ، وما تسمعيش غيرى •

فقالت وهى تبتسم فى اغراء :

ـــ وان زهقت ؟

ـــ مش معقول أزهق وانتى جانبى •

وازدادت قربا منه ، ورفعت بصرها اليه ، فاذا به يهوى عليها ويقبلها وهو يضمها فى قوة •

وارتفع الصياح ، فالتفت جلال وأحلام ، فوجدا أن سامى وشفيق فى عودتهما بينا لم تصل نبيلة الى الحجر •

وقفت نبيلة ، وتلفت شفيق نحوها وخفف من سرعته ؛ وراح سامى يعدو بأقصى سرعته مزهوا بنصره .

ووقف شفيق ، وانتظر حتى وافته نبيلة وسارت الى جواره تلتقط أنفاسها ، وقال لها :

— تعبتى ؟

— حاسه ان قلبى ح ينط من بقى ، وان رجليه مش قادره تشيلنى .

ومد لها ذراعه وقال :

— طب اسندى على .

وترددت ، وان كانت تلهث ، وتحس قواها تخور ، وفطن الى ترددها غمد لها يده ، فاذا بها تضع يدها فى يده ، وتسير معه .

وصاح سامى فى فرح وهو مستند الى السيارة :

— لما انتو مش قد الجرى ما تبقوش تتغالبوا .

وأدار وجهه ناحية الغرب ، فاذا بالشمس فى الغروب ، فهتف :

— ما تعدى يا نبيله شويه عشان تشوفى المنظر الجميل اللى عجبك قبل الشمس ما تغيب .

وقال لجلال وأحلام :

ـــ ح تفضلوا لابدين فى العربيه كده • مش ح تنزلوا شويه ؟

فقال جلال وهو يفتح باب السيارة :

ـــ آدى احنا نازلين •

ووقف الجميع برهة صامتين ، وهم يرصدون الشمس وهى تغوص فى الأفق البعيد •

وركبوا السيارة وقد خيم الظــلام على المكان ، وقفلوا عائدين وقد سيطر عليهم السكون ، صمت الراديو وركن سامى الى الهدوء ، حتى نبيلة لم تنبس بكلمة ، كانوا جميعا يجترون الحوادث التى انزلقت من لحظات من دنيا الواقع الى عالم الذكريات ، وقد راحت يد الخيال تنمقها فتزيدها فتنة وجمالا •

ولاح فى وجه جلال وجد وهيام ، فمد يده ووضعها فوق يد أحلام ، ليربط ما يدور برأسه بواقعه الذى يعيش فيه •

وبلغت السيارة الدار ، فأفاق الجميع من أحلامهم ، وفتح الباب الخلفى وهبط شفيق وسامى ونبيلة ، ثم فتح الباب الأمامى وهبطت أحلام وهى ترنو الى جلال وتقول :

ـــ مش ح تطلع شويه ؟

ـــ معلهش المره دى •• بقينا ليل •• المره الجايه •

ومدت يدها وصافحته ، ثم صافحت شـفيقا ، وانطلقت مرحة ، وقالت نبيلة :

ــ السلام عليكم .

ولكنها لم تتصرف ، بل مدت يدها الى شفيق تصافحه ، وأحست يده تضغط على يدها ، فخفق قلبها ، ونظرت اليه فاذا فى عينيه نور يأتلق ، فاستشعرت كأن تيارا كهربيا سرى فى روحها فزلزل كيانها .

وتسمرت لحظة ، وقد استبد بها اضطراب لذيذ ، وأحست فى لمحة أنها تغيرت ، لم تعد طفلة ، فقد راحت تمور فى أغوارها مشاعر ناضجة !

ودارت على عقبيها ، وسارت فى تؤدة ، كانت تستشعر كأنما صارت طيفا ، ومع ذلك لم تنطلق فى خطوات راقصة على أصابع قدميها كعادتها ، بل انسابت فى رزانة ، تطأ الأرض بكل قدمها .

ووقف سامى يودع جلالا وشفيقا ، ولم يتحرك الا بعد أن ابتعدت السيارة وابتلعها الظلام .

وصعدا الى الشقة واذا بمراد وسوسن وعاطف يخفون اليهم ويلتقون بهم ، ويسألونهم فى صياح :

ــ رحتم فين ؟ . رحتم فين ؟

فقال سامى فى فخر :

ـ الهرم .

وقالت سوسن فى حزن :

ـ بابا ضحك علينا ، وركبنا تاكسى شويه صغيره ورجعنا .

وقال مراد وهو يحاول أن يعترض طريقهم ليؤخر وصولهم الى غرفهم :

ـ تعرفوا عداد التاكسى ضرب كام ؟ تمانيه صاغ .

ودخلت سوسن على أبيها وقالت :

ـ أنا عايزه أروح الهرم .

وقال الأب فى أسى ، فقد جرح نفسه سخرية أولاده من النزهة التى حاول أن يدخل بها السرور على قلوبهم ، كان يأمل أن يرضوا فاذا بها تخلف فى نفوسهم مرارة :

ـ حاضر .

وأقبل عاطف وقال :

ـ وانا يا بابا .

وعبث بشعره وقال :

ـ وانت يا حبيبى .

ودخل مراد وقال :

ـ المره الجايه أنا اللى ح اخرج معاهم ، اشمعنى سامى يعنى اللى يخرج معاهم كل مره .

فقالت الأم :

ـ هم خرجوا الا المره دى ؟

فقال مراد وهو يعبث فى كرفاتة أبيه المعلقة :

ـ ما انا عارفه لزقه ، ما يحبش الا نفسه ، وسامى أنانى خطف الفسحه من قدامى .

فصاحت الأم فيهم جميعا :

ـ ايه لزمة الخوته دى دلوقت ؟ . ياللا امشى بره أنت وهو .

فقال مراد معترضا :

ـ ايه . احنا عملنا حاجه .

وهمت الأم وتحركت فى مقعدها وقالت :

ـ والله ان ما خرجتو من هنا لضرباكم بعصاية الغليه .

وفر الأولاد من الغرفة كأرانب مذعورة ، فالتفت الأب الى الأم وقال :

ـ ليه بس كده ؟

فقالت الأم :

ـ دلعهم يا خويا عشان يحبوك .. أنا ما اعرفش ادلع . أنا أربى .. التربيه ما تنقص عمر .. قال على رأى المثل .

فقال الزوج مداعبا :

ـ طب المثل بيقول ايه ؟

ـ أنا عارفه ؟

ـ المثل بيقول : ربى ابنك واحسن أدبه ، التربيه ما تاخد أجله .

ـ يا اخويا الأمثال كتير ، الواحده ح تفتكر ايه واللا ايه .

ـ أمال كل ما تتكلمى تقولى « على رأى المثل » ليه ؟ دا اللى يسمعك يحسبك قاموس فى الأمثال .

ـ يوه بقى .

وخلعت أحلام ونبيلة ثيابهما ، وارتدتا ثيـاب النوم ، وأسرعت كل منهما الى سريرها لتعيش وحدها مع خيالها ، وجذبت نبيلة الغطاء فوقها ، وتململت فى رقدتها وقد رفت على شفتيها بسمة حالمة .

وأحست أن الضوء المنبعث من الردهة الخارجية يشغلها عن الاستغراق فى أوهامها ، فقامت تطفىء النور ، ومرت وهى فى طريقها الى الزر الكهربى بعاطف وهو غارق فى نومه على الأريكة ، فلم تفكر فى حمله الى سريره ، وضغطت على الزر ، ثم عادت الى سريرها مسرعة ، وما ان اندست فى فراشها حتى التفتت الى أحلام وقالت :

ـ سامحينى يا أحلام ، ما كنتش فاهمه انى بضـايقك لما كنت بانور الأباجوره .. النهارده بس فهمت .

فقالت أحلام فى تكاسل :

ـ فهمتى ايه ؟

فقالت نبيلة وهى تنام على ظهرها وتضع كفيها تحت رأسها ، وتشرد ببصرها :

ـ أنا عارفه ! فهمت كتير •

وهامتا فى عالم وردى من التصورات ، ورفت على شفتيهما ابتسامات رضا وأمان وأمل •



سامحيني يا أحلام ، ما كنتش فاهمه انى بضايقك
لما كنت بانور الأباجوره •• النهارده بس فهمت •

الفصل العاشر

وقف حسين أمام باب الشقة وفى وجهه سهوم ، ومد يده الى زر الجرس وضغطه ، ثم أرخى ذراعه ، وراح يعبث فى أصابعه . كانت حركاته توحى بالقلق . وفتح الباب ودخل ، وما ان خطا خطوتين ، حتى دوت زغرودة طويلة ممدودة ؛ وبدرت حفنة من « الملبس » على الأرض ، فانقض الأولاد جميعا يلتقطون « الملبس » المنثور .

ونظر حسين الى زوجته فى تساؤل ، فقالت :

ـ دى الخياطه جابت فساتين أحلام .

ودلف حسين الى غرفته ، وزوجته خلفه ، وقبل أن يستقر على مقعده ؛ قالت له زوجه :

ـ الخياطه طالبه خمسين جنيه .

فقال وقد اتسعت عيناه :

ـ خمسين جنيه ! دا كتير .. كتير قوى .

ـ مش كتير . يا دوبك . مش فصلت أربع فساتين سهره

كوكتيل وخمسه تواليت وتمانيه اسبور وست جونلات وست بلوزات وتلات بلوزات نايلون وجيبون تواليت وجيبون اسبور ؟

وأحس حسين رأسه يدور ، وقام الى الصـــوان وفتحه وأخرج منه خمسين جنيها ، وقال لزوجته وهو يمد لها يده بالأوراق المالية :

ـ خلاص . ما بقاش معانا حاجه ، المهر اللى خدناه ، والقرشين الى كنا شايلينهم طاروا .

ـ ياما قلت لك اوعى لنفسك ، ياما قلت لك طالع لنا بنات .

ـ يعنى كنا حا نعمل ايه ؟ ما ناكلش ! كل اللى كان بيجينا كنا بناكل بيه .

ـ برضه لو كنا وعينا لنفسنا ما كناش احتجنا لحد دلوقت . اللى حصل .

وخرجت زينب ، وبقى حسين وحده فى الغرفة ، فالتفت الى المرآة وقال لصورته فيها :

ـ دايما انت السبب .. انت اللى بتبعزق الفلوس .. انت اللى ما وعتش لنفسك ، أنت اللى بتشترى كل شهر شنطه وجزمه وفستان عشان مودة اللى اشتريتهم الشهر اللى فات اتغيرت . معلهش . لك رب اسمه الكريم .

ودست الخيــاطة الأوراق الماليــة فى حافظتها ، وقبلت أحلام ، ثم ربتت على خد نبيلة وقالت :

ــ عقبالك .. بس قريب ان شاء الله .

ومست أمنيتها أذنى حسين فنظر الى نفسه فى المرآة فى ذعر ، وقد فغر فاه دهشة .

وأسرعت نبيلة الى أبيها وقالت :

ــ بابا أنا عايزه فستان أبيض أنزل بيه مع أحلام .

فجرى سامى اليها حتى لا تفوته الفرصة وقال :

ــ غرنا ! ما تشوفش حاجه الا لما تجيب زيها .

فالتفتت اليه وقالت :

ــ وانت مالك ؟

فقال لها سامى :

ــ مش تخلى عندك نظر .

وقالت وهى تتصرف :

ــ ح اجيب فستان غصب عنك .

وأخرجت له لســـانها فلم يأبه بها ، لأنه أراد أن ينتهز الفرصة لنفسه ، فقال لأبيه :

ــ بابا ، أنا عايز بدله كحلى وقميص أبيض وجزمه لميع .

وجاءت الأم ، وسوسن تتمسح بها ، ولما رأت أباها قالت :

ــ عايزه جزمه بيضه بكعب عالى . اشمعنى أحلام ؟

فصاح مراد وهو مقبل :

ـ ايه الطمع ده ؟ ، ما عندك جزمه سوده جديده . أنا اللى ما عنديش حاجه أبداً ، أنا عايز بدله ببنطلون طويل .

فقال سامى :

ـ انت تلبس بنطلون طويل !

ـ وانت مالك ؟

وصاحت الأم فيهم :

ـ ابعدوا دلوقت خللوا بابا يقلع ويستريح . ياللا بره .

وانسحبوا من الغرفة ، وبدأ الأب يخلع ثيابه ، ومدت الزوجة يدها وتناولت ثوبا صغيرا من سرير هالة ، ونشرته بين يديها وقالت فى هيام :

ـ شوف الفستان اللى خيطته الخياطه لهاله .. مش طعم والنبى !

وخلع قميصه ، فبدت الفانله ممزقه ، فقالت له الزوجه فى انكار :

ـ بقى تصرف الصرف ده وتستخسر فى نفسك فانلتين ؟

ـ والنبى تسيبينى فى حالى . أنا مش عايز حاجه ، نفسى بس أسد بق البير المفتوح ده .

ـ كله ينتهى .

وأطرق صامتا ، وجلس يخلع حذاءه ، وبان فى وجهه الهم .

وساد الصمت برهة ، وزوجه ترمقه فى قلق ، وأرادت أن تخرجه من صمته ، فقالت له :

ـ أحلام عايزه أربع تطقم نايلون .

فقال فى انكار :

ـ أحلام تلبس نايلون ؟ .

ـ وما تلبسش نايلون ليه ؟

ـ هو النايلون بيغطى حاجه . دا فضيحه .

وأرادت أن تداعبه لترفه عنه ، فقالت له :

ـ وانت ايش عرفك ، شفت النايلون على مين ، قول لى ؟

ـ شفته فى الفتارين .

ـ يا راجل !

ـ ما تشوفى حاجه غير النايلون ده .

ـ ح نيجى ع الآخر ونكسر بخاطرها ، نجيب لها الأربع تطقم وخلاص ، واهى ح تلبسهم فى أودتها .

فقال وقد شرد ببصره :

ـ ع الآخر ؟ مين اللى قال ع الآخر . قدامنا كتير ، بتاع الموبيليا عايز فلوس ، والمنجد عايز فلوس ، والنحاس عايز فلوس ، وأنا خلاص ما بقاش معايا فلوس .

ـ وح تعمل ايه ؟

ـ عملت وخلاص . طلبت استبدال جزء م المعاش .

ــ خساره !

ــ لا خساره ولا حاجه ، لو طلت استبدال المعاش كله كنت استبدلته ، مش أحسن ما الحكومة تورث فيه ؟

فقالت الزوجة فى فزع :

ــ ما وعيت •

ــ ح توعى ، ودى فيها كلام ح أموت يوم ، وح تورثه الحكومه فيه •

ــ بعد الشر •

وشرد ببصره وقال :

ــ أنا مش فاهم الحكومه تورث ليه ، لهى أمى ولا ابوية ولا بنتى ولا ابنى ولا انا مسئول عنها •

وتمدد فى السرير ، ونظر الى حيث ترقد هلة ، ثم التفته الى زوجه التى تناولت حذاءه ، وراحت تضعه فى مكانه ، وقاله لهـا :

ــ قولى لى يا زينب لو مت تعملى ايه ؟

فقالت له فى ضيق :

ــ أوه • والنبى تسيب السيره دى •

ــ وليه نهرب م اللى ح يحصل ؟ ما نفكر ســوا فى اللى تعمليه لو مت •

ــ يمكن اموت قبلك •

ــ ونفكر فى اللى نعمله لو متى ٠

ــ ودى عايزه تفكير ؟ ح تتجوز واحده تانيه تذل الأولاد وتمرمطهم ٠

ــ تفتكرى كده ؟

ــ ما فيش كلام ٠ يعنى انت أحسن من مين ؟

ــ طب لو مت قبلك تعملى ايه ؟

ــ أشوف شقه على قدى ، وادبر عيشتى أنا والأولاد على قد القرشين اللى ح يطلعوا لى ٠

ــ يعنى من مصلحتك ومصلحة الأولاد انى أموت قبلك ٠

ــ أوه ٠ والنبى تفض السيره دى ٠ أنا عارفه النهارده مالك ، مسكت الحكايه دى واستقلعت ليه ؟

وتركته وغادرت الغرفة ، واذا بسوسن تقبل وفى يدها ورقة ، ودفعت بها الى أبيها وقالت :

ــ بابا عايزينك فى المدرسه تحضر مجلس الآباء ٠

فقال وهو شارد :

ــ حاضر ٠

وأسرعت نبيلة اليه وقالت :

ــ اشمعنى ح تحضر مجلس الآباء فى مدرسة سوسن ، وما حضرتش المجلس فى مدرستى ؟

وخف سامى اليه وقال :

ــ مجلس الآباء بتاعنا بعد بكره ، ضرورى تحضره •

وصاح مراد :

ــ كل أصحابى أبهاتهم حضروا مجلس الآباء •

وأقبلت الأم على صياحهم ، وقالت لهم :

ــ هو ما حدش يعرف يستريح شويه فى البيت ده ! بره •

وانسلوا من الغرفة ، وقال الأب :

ــ بس الواحد ح يروح هنا واللا هنا واللا هنا واللا هنا • ح يجيب الوقت منين ؟ ! يعنى ما يجيناش بدل الكلام ده عضوية مجلس ادارة شركه •• تحل أزمتنا ؟

ــ أنا عارفه عرسان اليومين دول ايه ؟ الواحد منهم يدفع المهر ويسلت ايده ، لا نفقه ولا نشان ، فاكر الهدايا الحلوه اللى كنت بتبعتها لى فى المواسم ! عروسة المولد اللى قد كده ! والحلاوه الحمصيه والسمسميه ، واللا السمك اللى كان يملا طشوت •• والنشان اللى بعتولى •• الفستان القصب والجزمه القصب ، والشرابات الحرير والصابون المسك ، والشباشب اللى قلبك يحبها • تصدق ان الهدايا اللى بعتها لى فرحتنى أكتر من كل الحاجات اللى جابوها لى ؟

ــ دى بقت موضه قديمه •

ــ موضه قديمه ! والله كانت تشرح القلب ، ده فقر اللى بيعملوه اليومين دول •

ـ تعرفى أنا كل ما اشوف سامى ومراد وعاطف بتهـدا
نارى •

ـ ليه ؟

ـ مسيرهم ح يتجـوزوا يوم ، وادفع لهم المهر وبس
واسلت ايدى انا كمان ، وأسيب غيرى يكع ، واخد بتارى •

وسمع ارتطام حذاء صغير بالباب ، فقالت الأم :

ـ عاطف جه ، كان فين غطسان من بدرى ؟

وأسرعت تفتح له الباب ، وبدأت هالة تبكى ، فنهض
حسين وحملها فى حنان ، وقال لها وهو يرقصها بين يديه :

ـ تعرفى لو عشت لغاية ما أجوزك ، ح اجهزك جهـاز
ما فيش واحده اتجهزته ، مش ح يبقى ع الحجر غيرك •

وضمها اليه وقبلها قبلة أنسته كل آلامه ومتاعبه ، أحس
الكدر الذى غبش صدره ينقشع ، والهموم التى كادت تنقض
ظهره تتلاشى ، واذا ببصيص من الأمل يبدد ظلام نفسه ، ثم
ينداح حتى يملأ جوانحه •

وفتحت الأم الباب ونظرت ثم ارتدت خطوة وصاحت :

ـ ايه القرف ده ؟

كان عاطف يرتدى قميصا أبيض مخططا بخطوط حمراء ،
صار رماديا من أثر التراب ، وقد التصقت خصلات شعره
بجبهته من أثر العرق المتصبب منه ، وكان بنطلونه ممزقا عند

فخذه ، أما حذاؤه فلا لون له ، وفي يده قطعة حبل وفي نهايتها كلب صغير ، أذناه طويلتان تخطان في الأرض وشعره متهدل ، أبيض اللون ، حول عينه اليسرى هالة سوداء •

وجذبت الحبل من يده ، ولكنه تشبث به ، فقالت له :

ــ سيب الكلب ، جبته منين ؟

ــ واحد صاحبي اداهولي •

وعوى الكلب ، فاذا بأحلام ونبيلة وسوسن وسامي ومراد ، يتسابقون الى الباب ، أحلام في قميص النوم ، ونبيلة ترتدي بنطلون البيجاما ، عارية الصدر ، حافية القدمين ، وسامي ليس عليه الا بنطلونه الأبيض القصير ، ومراد بالفانيلا و « الكلسون » ، أما سوسن فقد راحت تهرول وفي قدميها شبشب كبير •

وخرج الأب من غرفته ينظر وهو يحمل هالة •

وقالت الأم وهي تجذب الحبل :

ــ ما تتعبش نفسك ، الكلب دا مش ح يخش الشقه أبدا •

وقالت أحلام :

ــ يا جماله !

وأسرعت نبيلة اليه وحملته ، فصاحت فيها أمها :

ــ نزليه ع الأرض ، مش شايفاه وسخ ازاي ؟ •

فقالت نبيلة :

ــ ح احميه •

وقالت سوسن :

ــ والنبى يا ماما تسيبيه ، دا لطيف خالص •

وصاح مراد :

ــ ح ننضفه ، ح نخليه فل •

فقال له أمه فى غيظ :

ــ ياخى روح نضف نفسك •

وسارت نبيلة به الى الحمام ، واخوتها خلفها يتصايحون ، فقالت لها أمها :

ــ يعنى عفيتى دلوقت ، لا تعبانه ولا مهمده ولا وراكى مذاكره ، ما تتشطريش الا فى الحاجات الهايفه •

وأغلقت الأم الباب خلفها ، وسارت مهزومة حتى اذا بلغت زوجها قالت له :

ــ هو البيت كان ناقص كلاب ! ما كفايه اللى فيه •

وسار الزوجان الى الحمام ووقفا بعيدا ينظران ، وجدا أحلام تدلك جسم الكلب بالصابون بينا راحت نبيلة تصب لها الماء ، بينا راح عاطف يصيح :

ــ ده كلبى ، أنا الى أحميه •

وطفق يمد يده ليأخذ من نبيلة الكوز ، وسامى يبعده ، ومراد يقول له :

ـــ استنى لما يستحمه ابقى خده •

وقالت سوسن وهى تلوح بالمشط فى يدها :

ـــ أنا اللى ح اسرحه •

وقالت أحلام :

ـــ ناولنى فوطه يا سامى •

قالت الأم فى غضب :

ـــ مش ناقصنا الا الكلب نجيب له فوط راخر ، وهو انتو مش داريين ، ما بتحسوش • والله اللى ح يحط الفوطه على جسمه ح يعرف شغله •

وشقت نبيلة طريقها الى غرفتها وعادت بجاكتة بيجامتها ، ولفت الكلب فيها ، ثم عادت الى غرفتها واخوتها خلفها •

وسارت الأم الى غرفتها مطرقة وزوجها الى جوارها ، وقالت له :

ـــ هو احنا قادرين نأكلهم لما ح نأكل الكلب ؟ قال على رأى المثل •

فقال زوجها وهو يبتسم :

ـــ مش لاقيين العيش ياكلوه ، يجيبوا كلب يربوه •

الفصل الحادى عشر

اصطف الأولاد فى حلقة واسعة ، وقد ركع سامى ومراد وأحلام ونبيلة وسوسن على ركبهم بينما ظل عاطف واقفا ، ووضعوا الكلب فى مركز الدائرة ، وقالت نبيلة :

ـ اللى يروح له الكلب يبقى ح ينجح السنه دى .

وراح كل منهم يناديه ، ويغريه بالاتجاه اليه ، فارتفعت فرقعة الأصابع ، وصفر كل منهم بفمه بطريقته الخاصة . وترددت النداءات :

ـ بوبى .. بوبى .

ووقف الكلب حائرا ، يدير رأسه يمينا وشمالا ، وقالت نبيلة :

ـ بلاش نقول له « بوبى » نسميه أسم تانى .

فقالت أحلام وقد وضعت سبابتها على خدها :

ـ نسميه أيه ؟

وشردت ببصرها تفكر ، وهى تعض شفتها السفلى بأسنانها ، وقال سامى :

ـــ نسميه جلجل •

والتفت الى أحلام ، وضحك ضحكة ساخرة ، فنهرته نبيلة قائلة :

ـــ بلاش قلة أدب •

وتوردت وجنتا أحلام ، والتفتت الى سامى غاضبة ، وقالت فى غيظ :

ـــ ح نتخافف ؟

وقال عاطف :

ـــ نسميه « عاطف » •

وضحك الأولاد ، وقالت سوسن وهى تضحك ، لتعلن الجميع أنها فهمت سبب ضحكهم :

ـــ يعنى عاطف كلب •• يعنى عاطف كلب •• هى هىء •• هى هىء •

وقالت نبيلة وهى تفرقع بأصابعها :

ـــ نسميه سوزى •

فارتفعت الأصوات تنادى :

ـــ سوزى • سوزى •

واختلطت الأصوات بفرقعة الأصابع ، وصفير الأفواه ، والكلب يبصبص بذنبه ويتلفت ، ثم يتقدم الى أحلام •

وحملته أحلام فى فرح وضمته الى صــدرها ، وصــاح الأولاد جميعا وهم يضحكون :

ــ أحلام ح تنجح السنه دى .

وأسرعت اليها سوسن تضــمها فى فرح لتعلن سرورها بنجاحها ، وقالت أحلام وقد توجت شفتيها بسمة عذبة :

ــ ح انجح فى آنى امتحان ؟

ورنت اليها نبيلة رنوة ذات مغزى ، وقالت لها :

ــ هو ضرورى تنجحى فى الامتحان ، أهو ح تنجحى والسلام .

وعلا بكاء هالة على ضجيج الأولاد ، فنادت الأم :

ــ نبيلة ، تعالى خدى أختك لعبوها ، واللا يعنى مش ح تحصل الكلب !

وقالت نبيلة :

ــ مراد ، هات هاله والنبى .

فأسرعت سوسن تهرول الى الردهة وتقول :

ــ أنا اللى ح اجيبها .

وانطلقت الى حيث كانت أمها جالســة على الأريكة ، وحملت هالة ، ثم عادت بها ، فقال سامى :

ــ حطوها مع الكلب لما نشوف ح تعمل ايه ؟

فقال مراد معترضاً :

ــ لأ ، خ اقول لماما •

ولم يأبهوا لاعتراضه ، ووضعوا هالة والكلب فى وسط الدائرة ، واشرأبوا بأعناقهم ينظرون •

وتمسح الكلب بها ، ومدت يدها تجـذبه من شـعره ، فانطلقت صيحات الرضا ، وراحوا يزحفون على ركبهم يضيقون الحلقة ، حتى ينعموا بمراقبة الغزل الدائر بين هالة وسوزى •

وخرج الأب من الحمام ، يلف حول عنقه فوطة مبتلة ، وقرع أذنيه صياح الأولاد ، فسأل زوجته :

ــ أيه الزيطه دى ؟

ــ زيطة أولادك اللى بتدلعهم ، بيلعبوا الكلب ، يا راجل كش فيهم خليهم يوطوا حسهم •

ــ وانتى ما كشتيش فيهم ليه ؟

ــ طول عمرى بكش فيهم لوحدى لما بقيت العدوه ، روح انت ربيهم مره •

وانطلق فى عزم الى حيث كانوا يلعبون ، وزوجته تنظر اليه ، وقد أصاخت السمع ، ووضعت القميص الذى كانت ترتقه جانبا •

ووقف عند باب الغرفة ينظر ، فرأى هالة تجذب الكلب من أذنه وتحاول أن تضعها فى فمها ، فاحتلت وجهه بسمة عريضة ، ودغدغت أذنيه ضحكات أبنائه ، فاستشعر مشاعر

رقيقة تنبثق فى أعماقه ، وتقدم مسرورا يشاركهم حبورهم •

وركع على ركبتيه ، وأبعد « الفرطة » عن عنقه ، وراح يفرقع بأصابع يديه فى توافق عجيب كأنما يدق لحنا راقصا •

وبدأت سوسن تتمايل على الأنغام ، وتشجع مراد وراح يصفق لها على الوحدة ، ولم ينهره أبوه ، فصفقت نبيلة وأحلام وسامى معه ، وأسفر تمايل سوسن عن وجهه الحقيقى ، فاذا بها ترقص وتميل برأسها الى الخلف ، حتى مس شعرها كعبها ، وبطنها فى حركة دائبة •

وجلجلت ضحكات ناعمة ، وتعالت الأصوات ، وقرع ذلك أذن الأم فقطبت جبينها وجذبت القميص الذى نحته فى عصبية ، ثم استأنفت رتقه وتثبيت أزراره •

وتتابع رنين جرس الباب فانقطع التصفيق وفرقعة الأصابع وتوقف الرقص ، ومد الأب يده وأخذ الفوطة ووضعها على كتفه وهم بالانصراف ، وأسرع مراد الى الباب يفتحه •

وقال مراد :

ــ أهلا جلال •

ومس صوت جلال أذنى الأب وهو يقول : « أهلا بيك » فوسع من خطوه ، حتى دنا من زوجه وهمس :

ــ جلال جه •

فقالت وهى تنهض :

ـ يا ريته كان جه من بدرى وشافك وانت بترقص العيال •

ووقفت أحلام تصلح هندامها ، وراحت نبيلة تمرر يدها على شعرها وفى عينيها قلق ، وحمل عاطف كلبه وجرى الى غرفة الاستقبال حيث دخل جلال •

وقالت أحلام لسامى :

ـ احمل هاله •

ـ وانا مالى •

وغادر الغرفة ليرتدى ثيابه ، والتفتت أحلام الى سوسن وقالت :

ـ سوسن شاطره • احملى اختك •

فقالت وهى تهز كتفيها :

ـ وانا مالى •

ـ احمليها وح اديكى قرش •

ـ هاتى قبله •

ـ روحى خديه من شنطتى •

ولم تنتظر حتى تحمل سوسن هالة ، بل انسابت مرحة الى غرفة الاستقبال وفى أثرها نبيلة •

كان جلال يداعب الكلب ، وعاطف ينظر اليه مسرورا ، بينا راح مراد يفتح الشبابيك ، واقترب عاطف من جلال وقال له :

ـ عجبك الكلب ؟

فقال جلال وهو يعبث فى رأس الكلب :

ــ لطيف خالص •

فقال عاطف وقد لمعت عيناه خبثا :

ــ طب ادى له قرش يشترى بيه بسكويت بقى •

وسمعت أحلام ونبيلة ما قاله عاطف ، فوقفت أحــلام وأطرقت خجلا ، ووضعت يدها على فمها ، ودفعتها نبيلة فى ظهرها تحثها على التقدم ، وهى تبتسم ، وصاح مراد فى أخيه :

ــ امش اطلع بره ، بلاش قلة أدب •

وقال له جلال :

ــ ما تسيبه ، دا صاحبى •

ووقف جلال ومد يده فى جيب بنطلونه ليخرج القرش ، واذا به يلمح أحلام مقبلة ، فيمد يده مصافحا ، ثم يصافح نبيلة ويشغل بحديثهما عن عاطف •

وجلس جلال والكلب فى حجره ، وأصابعه تتخلل شعره فى حنان ، وقد تعلقت عيناه بوجه أحلام •

ورمق عاطف أحلام ونبيلة فى غيظ ، عطل دخولهما حصوله على القرش ، ورمى جلال بنظرة شزراء ، ثم هجم عليه ينتزع الكلب منه ويقول :

ــ طب هات الكلب بقى •

فقال جلال وهو يقف ويمد يده فى جيبه :

ـ انت زعلت ؟ لك حق • خد القرش اهه •

فقالت أحلام فى عتاب :

ـ ما تعلموش على كده •

فقال مراد وهو يطوح يده فى يأس :

ـ هو لسه ح بتعلم ، ما خد على كده وخلاص •

ودخلت زينب وصافحت جلالا وقالت لمراد :

ـ افتح الشباك اللى وراء جلال ، النهارده حر •

فقال جلال منتهزا هذه الفرصة :

ـ بلاش تعب • احنا ح نخرج نتمشى ع النيل شويه ، ياللا يا أحلام •

واتسعت عينا الأم ، وثارت دماؤها ، ولكنها كبحت جماح عواطفها وقالت فى صوت مضطرب جاهدت أن يكون طبيعيا :

ـ طب استنى لما تشرب حاجه •

ـ لا معلش •

ـ استنى حسين جاى •

وقامت نبيلة وتظاهرت بأنها تصلح ضلفة الشباك ، ورمت ببصرها • كانت ترجو أن ترى السيارة واقفة ، وأن تلمح شفيقا فيها ، ولكنها رأت الطريق خاليا ، فانقبض صدرها ، وعادت الى مقعدها مطرقة •

وانصرفت الأم ، وانطلقت الى زوجها ثائرة ، وقالت له :

ــ سمعت ؟ عايز ياخدها ويخرج •

وقال الأب فى بساطة وهو يرتدى جاكتته :

ــ وفيها أيه ؟

ــ وفيها ايه ازاى ؟ يخرجوا لوحدهم ؟

ــ مش قارى الفتحه ودفع المهر ؟

ــ والله ما يخــرجوا لوحدهم ولو اتكتب الكتــاب ، ما يخرجوا الا بعد الدخله •

ــ وح تعملى أيه دلوقت ؟

ــ ح أتصرف •

وعادت الى غرفة الاستقبال ، ولكنها لم تدخل ، بل وقفت بعيدا بحيث يراها مراد ، ولا يراها جلال ، وجعلت تشير بيدها لمراد أن تعال •

وقال مراد بصوت عال دون أن يتحرك :

ــ ايه • فى أيه ؟

ووضعت أصبعها على شفتيها تأمره أن يلزم الصمت ، ثم عاودت الاشارة له بيدها ، فذهب اليها وهو ضيق بها ، وما ان وصل اليها حتى همست له :

ــ روح البس هدومك عشان تخرج مع أحلام وجلال : قوام •

وهرول الى غرفته ، وفتح درج « الشوفنيير » وبحث عن

قميص نظيف له ، فلم يجد فأخذ قميصا من قمصان سامى ، ولمحه سامى وهو يسرح شعره ، فقال له :

ــ سيب القميص ده •

فقال مراد :

ــ ما عنديش قمصان • كل قمصانى اتوسخت •

وأسرعت الأم اليهما وقالت لسامى الذى انتزع القميص من يد أخيه :

ــ خليه يلبسه يا سامى •

ــ لا يا ستى • عشان يجيبولى نصين ؟

ــ أن قطعه أجيب لك غيره •

ــ ما ليش دعوه •

ــ طب اديهوله واشترى لك بداله •

وقال سامى وهو يلقى بالقميص فى وجه مراد :

ــ اذا كان كده مطش •

وراح مراد يرتدى ثيابه فى عجلة ، وأمه تعاونه ، ووقعت عيناها على حذائه ، فقالت له :

ــ جزمتك وسخه قوى •• فين الورنيش ؟

فقال سامى وهو يغادر الغرفة :

ــ لو كانوا بياكلوه ما كانش يلحق يخلص بالشكل ده •

وراحت الأم تلمع حذاءه بخرقة ، حتى اذا اطمأنت الى مظهره ، رنت اليه لحظة وقالت :

ـ ياما نفسى تفضل نضيف كده على طول .

وسارا الى غرفة الاستقبال ودخلا . ولمح مراد كأسا على الصينية فيها شراب وردى بين الكئوس الفارغة ، فخطر له أن يتناولها ولكنه وقف مترددا ، وأحست أحلام به ، فقالت له :

ـ اشرب الشربات بتاعك .

ورفع الكأس الى شفتيه ، فقال له سامى :

ـ حاسب توسخ القميص .

وابتسم الجميع الا نبيلة فقد ظلت ساهمة ، ولاحظ جلال صمتها فقال لها :

ـ مالك النهارده ؟ ساكته ليه ؟

وتوردت وجنتاها ، وأحست دماء حارة تتدفق فى عروقها ، وقالت وهى تمرر يدها على جبينها :

ـ مش عارفه مالى . عندى صداع شويه .

وقال لها أبوها :

ـ خدى لك اسبرنتين وكباية شاى وخشى نامى .

ونهضت لتفر من الغرفة ، خيل اليها أن العيون كلها صوبت اليها ، وأن أمرها كاد ينكشف .

وقام جلال وقال لأحلام :

ـ يللا •

ونظرت الأم الى مراد ، فنهض وسار جلال وأحلام الى جواره وانطلق خلفهما مراد • وقبل أن يصلا الى الباب كان مراد يسير بينهما •

وأحس به جلال ، فلم يشعر بارتياح ، وكبت عواطفه وابتسم وقال له :

ـ جاى معانا ؟

فقال مراد فى ثقة :

ـ آه •

ولم تنهره أمه ، ولم يزجره أبوه ، فقال له جلال :

ـ تشرف •

وانطلقوا وقد تكدر صفو جلال ، وان راح يربت على ظهر مراد ، ويمر يده على شعره • وبلغوا الجزيرة ، وساروا فى الطريق المنساب على ضفة النيل ، وقد أضيئت المصابيح الخافتة التى عجزت عن قهر جحافل الظلام ، وكان مراد يسير بينهما ، ويشاركهما الحديث •

وأراد جلال أن يسير مع أحلام جنبا لجنب ، فوسع من خطوه وانتقل الى جوارها ، واذا بمراد ينـــدس بينهما ويفصلهما • وضاق جلال به ذرعا ، فجذبه من يده ، ونقله الى يمينه فصارت أحلام عن يساره لا يفصل بينهما فاصل •

والتصقت كتفه بكتفها ، ومال رأساهما حتى كادا أن يلتصقا ، والتقت العيون وهمس جلال :

ــ أحبك •

فقال مراد •

ــ بتقولوا ايه ؟

فقال جلال فى اضطراب :

ــ كنت باقول الجو لطيف النهارده •

فقال مراد :

ــ أبدا • الدنيا حر موت ، أنا عارف طايقين تتلزقوا فى بعض كده ازاى ؟

وابتعد جلال عن أحلام ، وقد لمعت العيون بالبسمة التى كبتتها الشفاه !

وانطلقوا ، وما ان ابتعدوا خطوات حتى التصق الكتفان ، ومال الرأسان ، وتحدثت العيون ، وتحركت المشاعر فى الصدور ، وهمس جلال مغازلا :

ــ قمر •

ومست الكلمة أذنى مراد ، فقلب وجهه فى السماء وقال :

ــ فين ده القمر ؟ مش شايف حاجه •

فقال جلال ، وهو يئد البسمة التى ولدت على شفتيه :

ـــ سألتنى أول الشهر العربى امتى ؟ قلت لها ، لما يطلع القمر •

فنظر مراد اليه فى دهش وقال :

ـــ سألتك امتى • أنا ما سمعتش حاجه •

وأشاحت أحلام بوجهها حتى لا يرى أخوها البسمة المريضة التى ارتسمت على وجهها ، وقال جلال ليغير مجرى الحديث ، وهو يشير الى مركب يسير فى النيل •

ـــ شايف المركب ماشى بالليل ازاى ؟

فقال مراد :

ـــ وايه يعنى ، ما المركب بيمشى بالليل وبالنهار •

فقال جلال :

ـــ صحيح •

وضربه على ظهره بقوة وهو يقول له :

ـــ شاطر • ما كنتش فاهم انك كده •

ووصلوا الى جسر التحرير ، كان يأتلق بالنور والسيارات تنساب فوقه فى صفوف ، والناس على جانبيه يتدافعون بالمناكب ، فاندسوا بين الجموع ، وقد أتاح الزحام فرصة التصاق جلال بأحلام رغم أنف مراد •

ونادى صوت نسوى رقيق :

ـــ جلال •• جلال ••

والتفت جلال خلفه ، ثم خفف من خطوه ، ولاحظت أحلام تمهله ، فسارت فى طريقها ، ومدت يدها وأمسكت مرادا من يده :

ونظرت خلفها فألفت جلالا يحادث شابة جذابة ويبتسم ، فاربد وجهها ، وتحركت عقارب غيرتها ، ولم تطق صبرا ، فجذبت مراد من يده ، ووسعت خطاها وراحت تشق طريقها بين الكتل البشرية المتدفقة •

واشرأب جلال بعنقه فلم يجد لأحلام أثرا ، فجعل يتلفت ثم انطلق يجد فى أثرها ، ولكن أفواج الموج البشرى المتدفق على الجسر كان يعوق تقدمه •

ووصل أخيرا الى محطة انسيارات ، ولمح أحلاما ومرادا فى سيارة بدأت تتحرك فهتف :

ــ مراد •• مراد ••

وأشاحت أحلام بوجهها عنه فى غضب ، فضرب كفه بقبضة يده فى حنق ، وعقد العزم على أن يتركها الليلة لغيرتها تؤرقها وتنهش صدرها •

وعادت أحلام الى الدار . واتجهت الى غرفتها حانقة ، وفطنت أمها الى غضبها ، فخفت اليها وقالت لها :

ــ رجعتى لوحدك ليه ؟ أمال فين جلال ؟

ــ سابنى ووقف يكلم واحده ، فته وجيت .

ــ وقف يكلم واحده ، ازاى ده ؟

ــ أهو ده اللى حصل .

ــ ما تزعليش نفسك ، بس لما ييجى .

وبدأت أحلام تخلع ثيابها وتلقيها فى غضب ، وغادرت أمها الغرفة وذهبت الى حيث كان زوجها وقالت له :

ــ شفت جلال عمل ايه !

ونحى الرجل الصحيفة التى كان يطالعها وقال :

ــ عمل ايه ؟

ــ ساب أحلام ووقف يكلم واحده .

ــ وعملت ايه أحلام ؟

ــ فاتته وجت .

ــ غلطانه .

ــ غلطانه ازاى ؟ أمال كنت عايزها تعمل ايه ؟ !

ــ تستنى لما تشوف مين ده ، مش يمكن قريبته ، واحده من معارفهم ؟

ــ بس لما ييجى .

ــ حتعملى له ايه ؟

ــ ح افرجه .

ــ ما لكيش دعوه .. سيبيهم هم يصفوا مشاكلهم من غير ما حد يتحشر بينهم ، بكره ح يبان لك انها حكايه هايفه .

ــ هايفه ! بكره ح تشوف .

وتحركت لتغادر الغرفة ، ثم وقفت قليلا ساهمة ، خطرت لها فكرة ، فأخذت السير الى حيث علق زوجها ثيابه ، وراحت تعبث فى جيوبه ، وتقلب فى أوراقه وهى تغمغم :

ــ مين عارف . يمكن . ! الرجاله كلهم خاينين وعينهم فارغه ، وما لهمش أمان .

الفصل الثاني عشر

أطفئت الأنوار . وســـاد الظلام ، ونام حســـين وزوجته وأولاده ، وبقيت أحلام مسهدة ، لا يمشي الوسن الى جفنيها ، ولا يغادر القلق صدرها ، ولا يهدأ لها بال ، ولا يستقر لها قرار . كانت تتقلب في فراشها تقلبها على جمر ، ما أن يمس جنبها الأيمن الفراش حتى تدور وتستلقي على ظهرها ، ثم تكمل دورتها لتنام على جانبها الأيسر ، وسرعان ما تعود سيرتها الأولى .

وكانت تحكم الغطاء عليها ، وتغطي وجهها ، وما تلبث أن تدفعه بيدها ، ثم ترفسه بقــدمها ، ثم تعود وتجذبه بيدها وتسدله على جسمها القلق المحموم .

وكانت نبيلة ترقبها في صمت ، وخطر لها أكثر من مرة أن تحادثها لتنتشلها من ذلك القلق المضني ، ولكنها كانت تتريث لعلها تهجع وتروح في سبات ، وظلت أحلام في عذاب ، فلم تطق صبرا ، وقالت وقد رفعت رأسها عن الوســـادة ورمت ببصرها اليها :

ـ معذبه نفسه كده ليه ، الموضوع بسيط خالص •

ودفنت أحلام وجهها فى الوسادة ، وشهقت ، فمدت نبيلة يدها وأضاءت الأباجورة ، ثم اتجهت الى سرير أحـلام ، وجلست على حافته ، وقالت :

ـ قولى لى : بتفكرى فى ايه ؟ •

فقالت أحلام وهى تبكى :

ـ يسيبنى ازاى وانا ماشيه معاه ويكلم واحده تانيه ؟

ـ وفيها ايه يعنى ؟ ما استنتيش ليه لما يرجع ويشرح لك كل حاجه : غرتى قوام ! خليتى لبتوع زمان ايه !

ومالت نحوها ، قالت وهى تمرر يدها على ظهرها :

ـ عايزه الحق • انتى غلطانه •

وأجهشت أحلام بالبكاء ، فقالت لها نبيلة :

ـ بتعيطى ليه دلوقت ؟

ـ عشان عارفه ان أنا غلطانه •

ـ خلاص ، مدام معترفه انك غلطانه ، كل حاجه ح تبقى سهل ، لما ح ييجى بكره ح تصلح كل حاجه •

والتفتت أحلام اليها وقالت فى لهفة :

ـ تفتكرى انه ح ييجى بكره ؟

فقالت لها نبيلة وهى تهز رأسها :

ـ بقى عشان كده بتعيطى ! اطمنى • ح ييجى • أماله ح يروح فين ؟

وجلست أحلام فى فراشها وقالت :

ـ ان جه ح اعتذر له ، ح اقوله انى غلطانه ، ومش ح اعمل كده تانى •

قالت لها نبيلة :

ـ اياكى تعتذرى له ، مثلى عليه • اعملى انك زعلانه لغاية ما يعتذر لك عشان ما تبقيش انت اللى غلطانه •

وابتسمت أحلام على الرغم من الدموع المترقرقة فى مآقيها وقالت وهى تدفع نبيلة فى صدرها فى حنان :

ـ اتعلمتى الحاجات دى فين ؟

فقالت نبيلة فى غرور :

ـ الحاجات دى ما نتعلمش • نتولد بيها • خليكى تقيله •

ونامت أحلام وسحبت نبيلة عليها الغطاء ، ثم أطفأت نور الأباجورة ، واندست فى فراشها ، واستغرقت فى النوم •

وأصبح الصباح ، ودبت الحياة فى الشقة ، وراح الأولاد يهرولون ويصيحون قبل أن يغادروا الدار الى المدرسة ، وحملت نبيلة حقيبتها وأسندتها على عجزها ، وقبل أن تتصرف ألفت أحلام تملأ القلل وهى ساهمة ، فدنت منها وقالت :

ـ والله ح ييجى • بس مش ح ييجى الصبح • ح ييجى لما يخلص شغله •

وغادرت المطبخ وهى تصيح :

ـ ماما •• ح أتأخر العصر ، عندنا بروفه لحفلة التمثيل •

وقالت الأم وهى تقوم بلم ما بعثره الأولاد قبل خروجهم من ملابس وأوان وفتات خبز وقصاصات ورق :

ـ والله ما انا عارفه التمثيل ده لزمته ايه !

ولم تحفل نبيلة باعتراضها ، وانطلقت كالطيف على أطراف أصابع قدميها ، ودوى فى أذنيها صوت بوق السيارة ، فقالت وهى تجرى :

ـ أنا نازله • العربيه جت •

وصفق الباب خلفها •

وخلت الشقة من الأب والأولاد ، ولم يبق بها الا الأم وأحلام وهالة ، أما عاطف فقد كان فى طوافه اليومى على شقق الجيران •

وانتهت أحلام من عملها اليومى الرتيب ، وبدأت فى كى ثوب من ثيابها ، واقتربت أمها منها وهى تحمل هالة وقالت لهـا :

ـ لما ييجى جلال أنا اللى ح اخش له •

فقالت أحلام ، وقد رفعت المكواة عن الثوب :

ـــ ليه ؟

ـــ مش ح تعرفي تكلميه ، أنا اللي ح اعرف أكلمه .

وخشيت أحلام أن تجرح أمها شعوره ، أو تسيء اليه من حيث لا تدري ، وتسبب لها المتاعب فقالت لها :

ـــ أرجوكي يا ماما تسيبي الموضوع ده ليه .

فقالت لها أمها في تهديد :

ـــ بقي اسمعي . لو قرش ملحتك مره ، ح يقرشها على طول . ح تبقي هفيه .

ـــ ما تخافيش .

وراح الوقت يمــر وئيــدا وئيدا ، وعاد الأولاد من مدارسهم ، وجاء الزوج . ومالت الشمس للمغيب ، ولم يأت الحبيب ، فطفقت أحلام تغدو وتروح في الشقة في قلق شديد ، كانت كلما سمعت صوت وقوف سيارة تهرع الى النافذة تنظر ، وهي تأمل أن يكون جلال جاء في رفقة شفيق ، ولكن سرعان ما يتبدد الأمل ، ويستبد بها يأس مرير .

ودق جرس الباب الخارجي ، فخفق قلبها في شدة ، ولفها اضطراب ، وراحت دماؤها تتدفق حارة في عروقها ، وخفت الى الباب ووقفت لحظة تصلح هندامها وشعرها ، ثم مدت يدها تفتح الباب في تؤدة ، كانت أشبه بمقامر يفحص ورقه في حرص ، خشية أن يفجع فيه .

ولمحت جلالا ، فاشتد وجيب قلبها ، وربما اضطرابها ؛ واحمرت وجنتاها ، ولكنها فتحت الباب على مصراعه وقالت فى فرح :

ـ أهلا وسهلا •• اتفضل •

وذهب الى غرفة الاستقبال ، وقال جلال قبل أن يجلس :

ـ تقدرى تقولى لى مشيتى امبارح ليه ؟

فقالت فى اضطراب :

ـ يعنى ما انتش عارف ؟

ـ لأ مش عارف •

ـ لما لقيتك سبتنى ومشيت اضطريت أمشى •

ـ سبتك ومشيت ؟ !

ـ بصيت ما لقيتكش جنبى • ما قلتليش رايح فين ••

ـ هو انتى استنتينى علشان أكلمك •

ـ كنت اقف فين والناس عماله تزق فى بعضها ؟

ـ طب ولما ندهت عليكو وانتو فى الأتوبيس وديتى وشك الناحيه التانيه ليه ؟ أنا مش فاهم إيه اللى زعلك •

ـ عايزنى أفرح لما تسيبنى وتكلم واحده تانيه ؟

ـ ما تقوليش سبتك ، واحنا ماشيين واحده كانت زميلتى فى الجامعه شافتنا ، ندهت على يا دوب رحت لها ، والتفت علشان أقدمها لك ، بصيت ما لقتكيش •

ودنا منها وقال لها :

ــ مشيتى ليه ؟ غرتى !

فقالت وهى تشيح بوجهها عنه فى دلال :

ــ اللى بيحب لازم يغير .

ثم عادت ونظرت اليــه فى اغراء ، وتعطلت لغــة الكلام وتخاطبت العيون ، فلف ذراعه حولها وقبلها قبلة طويلة حارة .

وأقبلت سوسن ورأتهما وهما يتعانقان ، فصاحت وهى تهم بالعدو :

ــ ماما .. ماما .. الحقى .

وانفصلا فى فزع ، وفى مثل لمح البصر جرى جلال خلفها حتى لحق بها ، فأمسكها ووضع يده فى جيبه وأخرج قطعــة نقود ، دسها فى راحتها وقال لها :

ــ خدى اشترى حاجه .

وفتح الباب ودفعها منه ، وضربها على مؤخرتها ، ثم أغلق الباب وعاد الى غرفة الاستقبال وهو يزفر فى راحة .

وجاءت الأم تسعى ، وخلفهــا زوجها ، ودخــلا غرفة الاستقبال فألفيا أحلاما وجلالا يتناجيان فى ود ، فصافحا جلالا وجلسا ، وراح الزوج ينظر الى زوجه وعلى شفتيه بسمة ، وفى عينيه كلام ، لو ترجم لكان : « مش قلت لك .

ما تتحشريش بينهم ، سيبيهم يصيفوا مشاكلهم لوحدهم . شفتى ! جالك كلامى ! » .

وراح جرس الباب يرن رنينا متصلا ، فقالت الأم :

ــ نفسى سوسن ما تحطش ايدها ع الجرس على طول ، هى فاكره البوابين واقفين ورا الباب ؟

وسمع صوت فتح الباب . واندفاع سوسن وهرجها ، وما أن وصلت الى الغرفة حتى صاحتِ :

ــ ماما .. ماما الحقى .

واتسعت عينا جلال رعبا . وأطرقت أحلام خجلا ، ثم قامت لتغادر الغرفة قبل أن تشى سوسن بها ؛ واستشعرت عرقا باردا يتفصد من وجهها ، وخيل اليها أن لونها قد غاض . وقالت الأم :

ــ فيه ايه ؟

فقالت سوسن :

ــ عاطف شحت برتقاله من الجيران .

وارتمت أحلام فى مقعدها ، وزفر جلال فى راحة ، وهو يوسع خناق الكرافاتة . وأقبل عاطف وهو يحمل البرتقالة . وقال فى صوت ثابت ، لا أثر للخوف عليه :

ــ أنا ما شحتش .

وقال له أبوه :



مش قلت لك م بتخسر بس سهم ••

أمال مين ادهالك ؟

ــ هم ما ادوهاليش كده •

ــ أمال ادوهالك ليه ؟

ــ عشان جبت لهم سجاير •

فابتسم جلال وقال :

ــ ما بيقاش شحتها ، خدها أجرة المشوار •

وجلست سوسن ، وراحت تنقل بصرها بين جلال وأحلام ، ثم تضحك وتخفى وجهها فى راحتيها ، وخشيت أحلام أن تسألها أمها عن سبب ضحكها . فتبوح بالسر الذى تشتهى أن يكشف ستره ، فأشارت اليها بيدها أن تأتى ، فذهبت اليها ؛ فأسرت أحلام فى أذنها أن فى درج ملابسها قطعة شيكولاتة ، عليها أن تأخذها على ألا تعود حتى ينصرف جلال •

ودوى صوت كلاكس سيارة ، فقال جلال :

ــ ده شفيق ايه الى جابه ؟

فقال حسين وهو ينهض :

ــ خليه يتفضل •

ولم يتحرك جلال ، وأسرع حسين الى النافذة المطلة على الطريق ، وأطل منها وقال :

ــ اتفضل •

وقال شفيق وهو فى السيارة :

ــ جلال موجود ؟

ــ أيوه ٠ اتفضل ٠

وصعد شفيق ، وقال لجلال وهو يصافح الموجودين :

ــ رحت لك البيت مالقتكش ، سألتهم رحت على فين ، قالوا ما يعرفوش . قلت لروحى ضرورى ح ييجى على هنا ٠ ح يروح فين ؟ الرجل تدب مطرح ما تحب ٠

وجلس شفيق وضحك حسين وقال :

ــ انت غاوى أمثال انت راخر ؟

فقال شفيق :

ــ ده المثل الوحيد اللى اعرفه ٠

وراح شفيق يقلب عينيه فى المكان ، ويشرئب بعنقه ويمد بصره الى الردهة ، كان يبحث عن نبيلة ، وهم أكثر من مرة أن يسأل عنها ، ولكنه كان يكبح جماح نفسه ٠

ولاحت نبيلة فى الطريق مقبلة ، وقد وضعت حقيبة كتبها على عجزها ، ولمحت سيارة شفيق من بعيد ، فجعلت تتفرس فيها ، حتى اذا ما تيقنت منها وسعت من خطوها ، ولو طاوعت نفسها لراحت تعدو فى الطريق ٠

وبلغت الدار ، فألقت على السيارة نظرة وداد ، ثم دلفت الى مدخل السلم ، وأخذت تصعد فى الدرج قفزا ، ووجدت

باب الشقة مفتوحا فانسابت منه الى غرفة الاستقبال •

وتريثت قليلا تلتقط أنفاسها ، وأخرجت من حقيبتها مشطا وراحت تسرح به شعرها ، ثم تقدمت وقالت :

ـ السلام عليكم •

فقال جلال وشفيق :

ـ وعليكم السلام •

وتقدمت تصافحهما ، صافحت جلال فى عجل ، وبقيت يدها فى يد شفيق برهة ، وقالت الأم :

ـ جيتى بايه ، يعنى ما سمعناش صوت عربية المدرسه ؟

ـ جيت فى الأتوبيس ، مش قلت لك الصبح عندنا بروفه لحفلة التمثيل ؟

ـ لو قلتى انك ح تيجى فى الأتوبيس كنا بعتنا لك سامى •

ـ وفيها ايه يا ماما لما آجى لوحدى فى الأتوبيس ؟

ـ يا بنتى ما بقتيش صغيره •

ووجد شفيق الفرصة سانحة ليشترك فى الحديث ، فقال :

ـ أمال لما ح تروح الجامعه ح تروح فى ايه ؟

فقالت الأم فى استنكار :

ـ الجامعه ! كلها السنه دى وتقعد فى البيت •

فقال شفيق فى ارتياح :

ــ أحسن •

فقالت نبيلة :

ــ أنا لازم اروح الجامعه ، وابقى دكتوره •• ما تتكلم يا بابا •

ــ ناخد رأى الموجودين • ايه رأيك يا جلال ؟

فقال جلال وهو ينظر الى أحلام :

ــ أنا رأيى قلته عملى •

وابتسمت أحلام ، وسرت الأم ، كانت تحسب أن الأمر لا يخرج عن معركة بينها وبين ابنتها ، ينبغى أن تفوز فيها تحفظ كرامتها •

وقال الأب :

ــ وانت يا شفيق رأيك ايه ؟

ــ أفضل فى البيت واحدة عنيها حلوه ، اتعلمت كفايه عن دكتوره عنيها مضعضعه ونضاره تخن كده •

وبالغ فى سمك النظارة عندما أشار بأصبعيه ، حتى أن نبيلة ابتسمت ، على الرغم من أن الرد لم يكن فى صفها ، وقالت :

ــ ضرورى كل دكتوره تكون لابسه نضاره تخن كده !

وأقبل سامى وهو يحمل الكلب على ذراعه ، ووقف بعيدا يصغى الى الحديث الدائر ، وقال شفيق :

ـ ان ما كانتش نضارتها تخن كده بيكون وشها كرمش ، شوفى بتقعد كام سنه فى الكليه •

وقال جلال :

ـ من رأيى يعملوا كشف هيئه على البنات اللى تروح الجامعه ، وما يسمحوش آلا بدخول الوحشين بس ! •

فقال سامى لنبيلة :

ـ خلاص • ضمنتى انك تخشى الجامعه •

والتفتت نبيلة اليه فى غضب وقالت :

ـ ايش حشر العيال فى الكلام ده ؟

فقالت الأم فى زجر :

ـ وبعدين معاكو •• لازم تتناقروا • روحى يا نبيلة غيرى هدومك وتعالى •

وغادرت نبيلة الغرفة وهى تنظر الى سامى شـــذرا ، وانطلقت الى غرفتها ، وراحت تخلع ثيابها ، وترتدى ثوبا آخاذا ، وقبل أن تكتمل زينتها تذكرت شيئا ، فأسرعت الى غرفة الاستقبال وشعرها منفوش ، وقالت :

ـ بابا ، حفلة التمثيل بعد بكره ، ضرورى تحضرها •

فقال الأب :

ـ يا ريت ، مش فاضى ورايا شغل •

فقالت نبيلة فى عتاب :

ـ هو كل سنه ما يحلاش الشغل الا يوم حفلة التمثيل ؟

ـ عندى لجنة •

فالتفتت الى أمها وقالت : وانت يا ماما وراكى ايه ؟

ـ ولا حاجه •

فقالت نبيلة فى فرح : خلاص • ح تيجى انت وأحلام وجلال •

ثم التفتت الى شفيق وقالت :

ـ وانت •

فقال شفيق :

ـ حاضر •

ـ الحفله ح تبتدى الساعه أربعه •

وقال شفيق وهو يلتفت الى الأم :

ـ أفوت عليكو أنا وجلال الساعه تلاته ونص •

فقالت الأم :

ـ لأ تيجو تتغدوا معانا وننزل سوا •

فقال جلال :

ـ معلش • اعفونا من حكاية الغدا دى •

فقال شفيق :

ـ لأ • ح نيجى نتغدى بس بشرط •

فقالت الأم :

ـ أيه هو ؟

فقال شفيق :

ـ انكم تيجوا كلكم معايا العزبه يوم الجمعه ، نقضى اليوم كله هناك •

فقال الأب فى استنكار :

ـ نيجى كلنا ؟ ؟ ازاى ؟ •

ـ المسافه قريبة ، ح افوت عليكم الساعه سبعه الصبح وآخدكم فى العربيه •

فقال الأب فى سخرية :

ـ يا بنى اعقل ، مالك ومال الشبكه دى ؟

فقال شفيق وهو يبتسم :

ـ أنا وانا بكامل عقلى ، باعزمكم يوم الجمعه ومصمم على العزومه دى •

فقالت الأم وهى تهز كتفيها :

ـ ايه • ذنبك على جنبك •

وقال الأب :

ـ على نفسها جنت براقش •

الفصل الثالث عشر

شرعت الأم في دس قدمها في الجورب النايلون ، وراحت تعالجه في حرص شديد ، كأنما نسج من خيوط العنكبوت . ولما تم لها لبسه ، انتصبت واقفة ، ودارت بعجزها ونظرت لتطمئن الى استقامة خط الجورب الخلفي ، واذا « بسوزي » يقفز من فوق السرير ، ويهرع اليها ويثب على ساقها فتنشب أظافره في الجورب وتمزقه ، فدفعته بقدمها في غيظ وهي تقول :

ـ كنا ناقصينك انت راخر .. يا سامي .. ، يا مراد .. تعالوا خدوا الكلب ده من هنا .

وأقبل سامي ، وقال :

ـ فيه ايه يا ماما ؟

ـ خد الكلب ده اللي من يوم ما جه ما شفنا يوم راحه .

فقال سامي وهو ينحني ليحمله :

ـ عمل أيه بس ؟ دا راجل طيب .

فقالت وهي تخلع الجورب وتنظر فيه :

ــ قطع الشراب اللى لسه تمنه ما بردش ، وامبارح طلع قطن الكتبه ، وأول امبارح نزل الشارع مع عاطف جه وسخ البياضات كلها ، وما زاد وعاد الا نومته على السرير على طول ، هى بقت شقتنا ، دى بقت شقة أبوه •

وجاء حسين وقال :

ــ أبوه مين بس ؟ هو فيه أبو حد هنا غيرى ، ياللا ، انتى لسه ما لبستيش ؟ الناس قلقوا •

فقالت وهى تشير فى غيظ الى الكلب :

ــ ما هو السبب ، هى اللى عطلنى •

ــ دا انتى بتلبسى من بعد الغدا ، الساعه بقت تلاته ونص ، فاضل نص ساعه ع الحفله •

ــ أنا خلصت أهو •

والتفتت اليه وقالت :

ــ انت ح تنزل امتى ؟

ــ الساعه سته •

ــ طب ان صحيت هاله لبنها عندك فى التمليه ، ولما تيجى تخرج سلمها لسامى •

وتلفتت وقالت :

ــ أمال فين مراد ؟

فقال سامى :

ــ بيذاكر •

ونادت الأم :

ــ مراد •• مراد •

وجاء مراد وفى يده كتاب انجليزى وفى خده وشفتيه أثر حبر ، فقالت له :

ــ أنا مش فاهمه ، انت بتشرب الحبر ؟ ايه الحبر دا اللى فى بقك ؟ •

فقال وهو يمسح فمه بيده :

ــ كنت باحل الحساب ، وأنا بافكر نسيت وحطيت سن القلم فى بقى •

واقترب خطوة وقال :

ــ تعرفى يا ماما أنا صعبان على قوى الأولاد الانجليز الصغيرين •

ــ ليه ؟

فقال وهو يرفع الكتاب الانجليزى فى يده :

ــ ازاى ينطقوا الكلام الانجليزى الصعب ده ؟ !

فقالت له أمه :

ــ ما يصعبش عليك غالى •

وقال له أبوه :

ــ والله انت اللى صعبان على •

ثم التفت الى الباب وقال :

ــ واللى مستنيين بره صعبانين على روخرين •

فقالت الأم :

ــ أنا خلاص لبست أهه •• خلى جلال وشفيق وأحلام يسبقونى ع العربيه ، وأنا نازله على طول • وانت يا سامى خد أخوك وع المطبخ اغسلوا الأطباق ، وشيلوهم محلهم •

فقال سامى :

ــ أمال ح نذاكر امتى ؟ ما تجيبوا لكم خدامه تغسل الأطباق وتكنس وتمسح •

فقالت الأم :

ــ ان جبنا بنت ح ندفع لها أجرتها م الفلوس اللى بتروحوا بيها السينما ، واللى بتركبوا بيها عجل •

فقال مراد وهو يضع كتاب الانجليزى على التواليت :

ــ لا • دا احنا نغسل الأطباق قوى . ونلحسها بلساننا كمان •

وخرج سامى ومراد من الغرفة ، وسمع صوت مغادرة أحلام وجلال وشفيق الشقة ، والتقى الوالد ومراد وسامى فى المطبخ ، واذا بالأوانى والصحاف والشوك والسكاكين والأكواب مكدسة فى انتظار من يتفضل بغسلها •

ووضع سامى الكلب على الأرض ، فأسرع يلعق الصحاف ،

وارتدى سامي « فوطة » المطبخ ، وشمر عن ساعده . بينما راح مراد يحمل الأواني على صدره ، دون أن يحفل بثيابه .

وجاء عاطف يصيح ، وفي يده غصن شجرة ، يضرب بها الأرض :

ـ جلال وأحلام رايحين فين ؟ أروح معاهم .

خرجت الأم من غرفتها بعد أن اطمأنت الى أناقتها ، والتقت بعاطف في الردهة ، وما ان وقع نظره عليها حتى قال .

ـ وانتى خارجه معاهم ؟ وأنا ح اروح معاكم .

فقالت له الأم وهى تبعد يديه عن ثوبها :

ـ خليك هنا ، وح اجيب لك حاجه حلوه .

ـ ح تجيبى لى ايه ؟

ـ ح أجيب لك عروسه .

ـ لأ . أنا مش عايز عروسه ، انا عايز عريس زى أحلام .

فقالت له وهى تبتسم :

ـ انت راجل . تيجى لك عروسه .

ـ لأ . أنا عايز عريس ، عريس يركبنى آتومبيل .

ـ طيب . بس اسكت ..

وهمت بالخروج ، واذا به يعترض طريقها وقد بسط ذراعيه يحول بينها وبين السير ، وغصن الشجرة يسد الطريق :

ـ مش ح تنزلى الا لما تدينى قرش قبله .

وفتحت حقيبة يدها ، وأخرجت منها قرشا ودفعت به اليه وانطلقت فى سبيلها ، وهى تنظر الى المطبخ وترى زوجها وسامى ومراد منهمكين فى غسل الأوانى والأدوات •

وهبطت الى الطريق ، وتقدمت الى السيارة ، فاذا بجلال قد جلس خلف عجلة القيادة وأحلام الى جواره ، ووقف شفيق عند الباب وقد فتحه ينتظر ركوبها ، فصعدت الى المقعد الخلفى ، وصعد شفيق فى أثرها ، ثم انطلقت السيارة بهم •

وبلغوا المدرسة ، وراحوا يصعدون فى درج دائرى ، ورأت الطالبات أحلام فخف اليها بعضهن يصافحنها ، وان كانت عيونهن تتفرس فى جلال وشفيق •

ودلفوا الى قاعة واسعة ، أقيم المسرح فى صدرها ، وصفت فيها كراسى خيزران ، فاتجهوا الى الصفوف الأمامية ، والأنظار تتبعهم ، كانت الطالبات فى شوق الى معرفة خطيب أحلام ، فلما جلست أحلام والى جوارها جلال ، سلطت الأنظار عليه تفحصه من قمة رأسه الى أخمص القدم •

وراحت مدرستان تديمان النظر اليهم ، ومالت احداهما على الأخرى وقالت :

— التانى أحلى من خطيبها •

— والنبى ياختى راخر شربات • ما وحش الا قلته •

ونهضت ، وراحت تصلح هندامها ، فقالت لها زميلتها :

ــ على فين ؟

ــ رايحه أسلم على أحلام . واتفرج .

فنهضت الثانية وقالت :

ــ خدينى ياختى معاكى .

وانطلقتا الى أحلام ، فلما رأتهما ارتبكت ، وقامت تحية لهما ، وقد توردت وجنتاها بلون الورد .

وقالت الأولى :

ــ ازيك يا أحلام ؟

ــ الله يسلمك يا أبله منيره .

وقالت الثانية :

ــ سنه طويله ما حدش يشوفك . يخونك العيش والملح .

ــ والله ما باخرجش يا ابله وداد .

وسكن اضطرابها ، فالتفتت الى أمها وقالت تقدمها اليهما :

ــ ماما .

ــ أهلا وسهلا .

وقالت وداد متملقة :

ــ والله ما افتكرناهاش ماما ، افتكرناها أختك الكبيره !

وأرضى ذلك الملق غرور الأم ، فقالت :

ــ الناس كلها بتفتكر كده .

وقالت أحلام وهى تشير الى جلال وشفيق :

ــ جلال والأستاذ شفيق •

ومدت المدرستان أيديهما ليتمتعا بالمصــافحة ، وعيونهما تتجول فى وجهى الشابين ، وقالتا :

ــ اتشرفنا •• فرصه سعيده خالص •

وقالت منيرة :

ــ أحلام دى •• دى •• دى أختنا •

وقالت أحلام وهى تشير الى مقعدين خاليين الى جوارهما :

ــ ما تتفضلوا جنبنا هنا •

ــ متشكرين ، انت عارفه ما نقدرش نقعد النهارده فى حته واحده ، أورفوار مؤقتا •

وانصرفتا وما ان ابتعدتا عنهم ، حتى قالت منــيرة فى مرارة :

ــ بنت امبارح بقت عروسه النهارده ، أمال احنا مالنا •

فقالت وداد وهى تمصمص بشفتيها :

ــ قسم •

ثم رفعت بصرها الى السقف وقالت فى ابتهال :

ــ يا رب ارزقنا بقى بعدلنا •

فقالت منيرة :

ــ ان شاء الله يا وداد يا اختى • من بقك لباب السما •

وراح جلال يتفرس فى المسرح ، فألفاه مكونا من موائد

المطعم ، وقد شدت جوانبه بالخيش ، أما الستارة فكانت من مفارش سرر شبك بعضها الى بعض بدبابيس ابرة ، والتفت الى أحلام وقال :

ــ أظن انتو ساهمتوا فى بنا المسرح ده .

فقالت أحلام وهى تبتسم وتشير بأصبعها الى الستارة :

ــ طبعا ! مفرش السرير التالت ده بتاعنا .

وقالت لها أمها همسا :

ــ نفسى يا أحلام ما تشوريش بصباعك وانتى بتتكلمى .

فقالت لها أحلام :

ــ يا ماما انتى نفسك فى حاجات كتير : مش ممكن تتعمل .

وظهر الميكروفون أمام الستارة ، فقال شفيق فى تأوه :

ــ آه . ح نشرب أكبر مقلب ، الخطبة ، نفسى يطلع قانون يحرم الخطابة فى الحفلات .

فقالت أحلام وهى ترنو الى جلال فى حب :

ــ كلهم نفسهم مفتوحة النهارده ، عمالين يتمنوا ، ماما قالت نفسى ، وشفيق قال نفسى ، وانت ما نفسكش فى حاجه ؟

فقال وهو ينظر اليها فى حب :

ــ نفسى فى حاجات كتير قوى .

ــ نفسك فى ايه ؟ قول .

فقال وهو يرمقها بطرف عينه فى خبث :

ــ ما اقولش ، وان كنت عارف أنك عارفه اللى نفسى فيه •

وأسبلت جفنيها دلالا ، ورفت على شفتيها بسمة عذبة ، و اقترب رأسه من رأسها ، واذا بصوت الناظرة يرن فى جنبات القاعة ، فيفيقان من حلم لحظتهما •

وراحت الناظرة ترحب بالمدعوين ، فى أسلوب متحذلق . فمال شفيق على جلال وقال :

ــ أراهن ان اللى كتب الخطبه دى مدرس لغه عربى عتيق •

فقال له جلال :

ــ أمال ح يكون مدرس انجليزى !

ــ مش قصدى • قصدى انه مدرس يهتم باللفظ بس ، بيفضل اللفظ الرنان ولو شوه المعنى •

وقالت أحلام :

ــ اللى بيكتب الخطب كلها أبو الأسود الدؤلى •

ــ يدوب كده ، باين على الخطبه انها من أيام سيدنا على

وضحكت أحلام وقالت :

ــ مش أبو الأسود بتاع أيام سيدنا على ، دا الشيخ اللى قاعد هناك ده ، البنات مسميينه كده •

ونظر جلال وشفيق الى حيث أشارت أحلام ، فاذا بشيخ

معمم يصغى الى الناظرة فى انتباه ، وهو يهز رأسه أعجابا ، كأنما يصغى الى مطربة ، فقال شفيق فى حماسة :

ـ مؤكد هو الى كاتب الخطبه دى ، لأن كل كلمه فيها لابسه عمه وكاكولا •

ـ وانتهت الناظره من خطبتها ، فصفق شفيق فى شدة ، وقال له جلال :

ـ ايه الاعجاب ده ؟

ـ ده اعجاب بأنها خلصت الخطبه •

وفتحت الستارة ، واذا طالبة فى ملابس « بلياتشو » فضج الفتيات بالضحك • فراحت ترقص حاجبيها ، ثم قامت ببعض ألعاب بهلوانية . وقفزت الى أعلى ، فاذا بها ترتفع حتى وصلت الى سقف الغرفة ، كان فى وسطها حبل متصل ببكرة حديد قرب السقف ، فلما قفزت جذب بعض زميلاتها المختفيات خلف المسرح طرف الحبل الآخر •

وبقيت متعلقة فى الهواء ، تحرك ساقيها وذراعيها فى حركات مضحكة ، بين ضجيج المدعوين وضحكهم •

وأغلقت الستارة ، ودوى التصفيق ، ففتحت الستارة ثانيا ، وأرخى الفتيات المختفيات خلف المسرح الحبل قليلا ، ثم جذبنه ثانية فبدت الفتاة كأنها تنحنى للمصفقين ردا على تحيتهم ثم تنتصب قائمة •

وسرى فى القاعة همهمة ، بعد انتهاء ذلك المشهد ، وارتفعت الضوضاء ، واذا بدقات متتابعة على خشبة المسرح تعلن بدء المشهد التالى ، وفتحت الستارة وانبعثت من الفونوغراف موسيقى راقصة ، وظهرت على المسرح فتيات فى ثياب قصيرة بيضاء فبدت سيقانهن وأفخاذهن ، ورحن يرقصن على الأنغام ، وحملقت الأم فيهن وهى يتمايلن ، كانت تبحث بعيونها عن نبيلة وهى مبهورة النفس ، وفى وجهها قلق وضيق •

ودخلت نبيلة المسرح وحدها تسير على أطراف أصابع قدميها لتتقدم المجموعة ، كانت فى ثوب وردى قصير غاية القصر ، وكان صدرها عاريا ، ولا يستر ساقيها وفخذيها الا جورب أبيض قصير ، وطرف الثوب الذى كان على شكل دائرة •

وشهقت أمها فى صوت خافت :

ــ يادى الفضيحه !

ولم يلتفت أحد الى اعتراضها ، كان شفيق يرمقها فى اعجاب ، وقد فغر فاه ، وراح جلال يرقب الرقصة فى شغف ، أما أحلام فقد راحت تهز رأسها فى نشوة •

وتحركت الأم فى مقعدها فى ضيق ، وقالت :

ــ ليه نبيله تعمل كده ؟

فقال شفيق فى نبرات حالمة :

ـ مدهشه •

وتألق ضوء خاطف ، وقالت الأم فى فزع :

ـ صورها ! تبقى نايبه لو نشر صورتها فى مجله وهى بالشكل ده ، مش ح تتجوز أبدا ، قوم يا جلال هات الصوره منه •• دى فضيحه •• ح يضيع مستقبل البنت ، مش ح تتجوز أبدا •

فقال شفيق ، وهو يحملق فى نبيلة ويتبعها بعينيه :

ـ اطمنى ما تخافيش ، أنا هنا •

وحسبت الأم أن شفيقا يعدها بأنه سيستولى على الصورة ويمنع نشرها . فقالت له :

ـ ربنا يسترك •

وانتهت الرقصة ، وأقفلت الستارة ، وأقبلت المدرسات على الأم يصافحنها ويهنئنها :

ـ مبروك •• يا سلام على نبيلة • كانت مدهشة •

وراحت الأم تحملق فيهن وهى فى حيرة من أمرها ، وجاءت نبيلة بملابس الرقص ، والفتيات يرمقنها فى حسد ، ويقلن :

ـ إيه ده كله ؟ •

وابتسمت فى زهو . ولمحتها أمها فصاحت فيها :

ـ وجايه عريانه ؟ مش مكسوفه ؟ ياللا ع البيت ياللا •

وخف اليها شفيق وقال لها وهو يصافحها :

ـ مدهشه •• جنان •

فقالت الأم فى ضيق :

ـ صحيح جنان ، واللى يطاوعكوا يستاهل أكتر من كده •

والتفت شفيق الى الأم وقال لها :

ـ انت زعلانه ؟

ـ أمال عايزين أفرح ؟

ـ ايه اللى مزعلك •

ـ عاجبك كده ؟ عاجبك واقفتها عريانه ؟ !

والتفتت الى نبيلة وقالت فى عزم :

ـ نبيلة ـ روحى البسى هدومك وياللا ع البيت •

وانسحبت نبيلة ، وقالت أحلام لأمها :

ـ مش ح نقعد لآخر الحفلة ؟ !

فقالت الأم :

ـ ع البيت على طول •• يا نبيتى لو طلعت الصـــوره سى الجرانين ح يتوقف حالها • •مش ح تتجوز أبدا •• مين اللى يرضى يتجوز واحده عريانه بالشكل ده ؟

فقال شفيق وهو يبتسم :

ـ ما قلت لك اطمنى انا هنا •

وفهم جلال وأحلام ما يرمى اليه فابتسما ، أما الأم فلم تفهم قصده ، وقالت فى ضيق :

ـــ ما قلت لى اطمنى قبــل كده ، ولا جبت الصـــوره ولا حاجه ، وأهو المصوراتى داير يصور فى البنات ، أروح انا اجيبها منه ؟

وتيقن شفيق أنها لم تفهم غرضه ، وأراد أن يرضيها فقال لها :

ـــ أنا رايح للمصوراتى أجيب الفيلم منه •

وذهب الى الرجل واتفق معه أن يبعث اليه بصورة نبيلة فى حجم كبير ، والصورة السلبية ، وأعطاه عنوانه ودفع له القيمة مقدما •

وأقبلت نبيلة بعد أن استبدلت ثيابها ، وما ان رأتها أمها حتى قالت لها :

ـــ ع البيت قدامى •

وسارت نبيلة وشـــفيق وأحلام وجلال وانطلقت الأم خلفهم وهى تغمغم :

ـــ دا مجنون اللى يسيب بناته على حل شعرهم •• قال على رأى المثل : « كنا فى جره وطلعنا بره » •

الفصل الرابع عشر

استيقظ الأولاد مبكرين . وراحوا يغدون ويروحون في الردهة مسرعين ، هذا يخلع ثيابه ليرتدى ثياب الخروج ، وذاك يمشيط شعره وهو يدور بعينيه فى المكان ويقول :

ــ أمال الجزمه فين ؟

وذهبت نبيلة الى الساعة ونظرت فيها ، ثم اتجهت الى غرفة أبويها وطرقت الباب فى رفق وهى تقول :

ــ اصحوا بقى ما فيش وقت ، زمان شفيق جاى •

وقالت الأم من الداخل وهى راقدة فى فراشها :

ــ افتحى وخدى هاله لبسيها •

وفتحت نبيلة واتجهت الى سرير هالة وحملتها وقالت لها مداعبة :

ــ تعالى يا ستى عشـــان تروحى العزبه ، ياللى عمرك ما شفتى عزبه •

فقالت لها أمها :

ـ يعنى انتى اللى شفتيها ؟

ـ طبعا شفتها .

ـ شفتيها فين بقى ؟ .

ـ فى السينما .

وغادرت نبيلة الغرفة وقال الزوج :

ـ يا لالا ما فيش وقت يا دوب تلبسى .

ونهضت زينب لتصلى . وتركت الغرفة . فألفت أحلام قد انتهت من عاطف . وبدأت فى تمشيط شعر سوسن . فقالت :

ـ ما فيش خروج قبل الشقه ما تتنضف . سامعين ؟

فقال مراد :

ـ أنا ح اكنس الأوده المفروشه .

وقال سامى :

ـ وانا ح امسح المطبخ .

وقالت الأم :

ـ وانتى يانبيله املى القلل وحطى هدوم هاله فى شنطتها ، وما تنسيش تاخدى هدوم لعاطف ومراد .

فقالت نبيله وهى تبدل ثياب هالة :

ـ حاضر .

ودلفت الأم الى الحمـام وهى مسرورة ، لم تسـمع

اعتراضا ، ولم تر تذمرا ، كانوا جميعا سامعين مطيعين •

وذهب عاطف إلى أبيه وهو يحمل كلبه ، وقال له :

ـــ يا بابا احنا رايحين العزبه ؟

ـــ أيوه •

ـــ وح ناخد سوزى معانا العزبه ؟ •

ـــ أيوه •

ـــ الا يا بابا العزبه يعنى ايه ؟

وحك الأب رأسه بظفره ، وشرد يفكر برهة ثم قال :

ـــ العزبه يعنى بيت كبير حواليه غيطان •

ـــ غيطان يعنى ايه يا بابا ؟

ـــ يعنى جنينه واسعه تزرع كوسه وكرنب وبرتقال وموز وكل الخضار والفاكهه اللى بتاكلها •

ـــ آه •

فقال الأب وهو يعبث فى رأسه فى حنان :

ـــ عايز حاجه تانى ؟ !

ـــ أيوه • عايز قرش •

ومد الأب يده فى جيب البنطلون وناوله قرشـــا ، فأطبق عاطف يده عليه وقال :

ـــ وسوزى عايز يضيع •

ودفعه أبوه فى رفق يخرجه من الغرفة وهو يقول له :

ــ بره يا بكاش •

وخرج عاطف من الغرفة وهو يضحك ضحكة تنم عن مكر ودهاء ، وعادت الأم ، فقال لها حسين :

ــ شهلى شوية ما فيش وقت •

ــ دنا ح البس قبلك •

ووقفت تفكر برهة ، ثم قالت له :

ــ قل لى ألبس ايه ؟

فقال وهو يطوح ذراعه فى حنق :

ــ أوه • انت لسه ما فكرتيش ح تلبسى ايه ؟ يبقى مش ح نخرج قبل الضهر • البسى أى حاجه ، انتى رايحه فين يعنى !

وفتحت الصوان وراحت تقلب ثيابها لتختار منها ما ترتديه ، وهى تقول :

ــ أنا عارفه أتومبيل ايه ده اللى ح يساعنا كلنا ! •

وأقبلت نبيلة تحمل هالة ، وجاءت أحلام وقد تأهبت للخروج ونظرتا ثم قالتا معا :

ــ لسه ما لبستيش يا ماما !

ــ ناولونى الجزمه •

ــ حاضر •

ــ طلعى لى يا أحلام الشراب الأسود •

ــ حاضر •

ـ جهزتى شنطه هاله يا نبيله ؟

ـ جهزتها . فيه حاجه تانيه ؟

وأثلجت تلك الطاعة صدر الأم ، فتمنت أن يصبح ذلك حالهم على الدوام ، وشاءت أن تنعم بتلك الطـاعة الطارئة فقالت :

ـ روحى يا نبيله شوفى مراد مسح جزمته وخد مناديل نضيفه واللا عمل أيه ؟

ـ حاضر .

وتحركت نبيلة ، وذهبت أحـلام وسوسن وعاطف الى الشرفه ليرقبوا الطريق .

وقالت الأم :

ـ عينى بارده ع الأولاد النهارده ، ايه اللى جرى لهم ، متشطرين من بدرى وكل ما نقول لهم حاجه ، يقـولوا : حاضر .

ـ مش فاضيين للزعيق والخناق ، عايزين يخلصوا . نفسهم يغمضوا ويفتحوا يلاقوا نفسهم فى العزبه .

ـ أنا عارفه ما كانش لك عزبه ليه .

ـ الحمد لله على كده .

وسمع نداء كلاكس سيارة ، واذا بأحلام وسوسن وعاطف

يقبلون مهرولين بتصايحون ، وبلغت أحلام غرفة والديهـا فقالت :

ـ جلال جاب عربيه وشفيق بعربيته .

فقالت الأم فى راحة :

ـ أيوه كده ، مش كنا ح ننـدس فى عربية زى علبة السردين !

ووقف جميع الأولاد على باب الغـرفة يحثون أمهم على الاسراع :

ـ ياللا يا ماما .. ياللا يا ماما .

ـ انزلوا انتو وأنا محصلاكو .

وقال الأب :

ـ سوسن ومراد ونبيلة وماما يركبوا مع شفيق . وأحلام وسامى وعاطف وأنا نركب مع جلال .

وانطلق الأولاد يعدون فى مرح ، وقال عاطف لسامى :

ـ خد سوزى .

ـ أنا مالى .

وتناولت أحلام يد عاطف ، وحملت الكلب وانطلقت وكل خالجة فيها تنطق بالغبطة والسرور .

وخلت الشقة الا من الزوجين ، والتفتت زينب الى زوجها وهى فى طريقها للهبوط وقالت :

ـ يا راجل ايه تفرق بينا ، كنا ركبنا سوا فى عربيه واحده .

ـ كل واحد منا ف عربيه عشان ناخد بالنا م العيال .

فقالت فى دلال :

ـ قول انك زهقت منى .

فلف ذراعه حول ظهرها ، وضغط على كتفها البعيدة بيده فى حب وقال :

ـ مش معقول .. تصدقى . متهيألى اننا متجوزين من كام شهر بس .

ـ والأولاد دول كلهم .

ـ أنا عارف جم امتى ؟

وهبطا الى الطريق ، فخف اليهما جلال وشفيق وراحا يصافحانهما ونظر الأب فألفى أحلاما قد جلست فى المقعد الأمامى فى العربة الأولى ، ونبيلة قد جلست فى المقعد الأمامى فى عربة شفيق ، وقد أعطت هالة لسوسن ، فقال :

ـ مراد يركب قدام جنب نبيله .

وقفز مراد فى مثل لمح البصر من المقعد الخلفى الى المقعد الأمامى ، فأفسحت له نبيلة مكانا الى جوارها ، وان كانت ملامحها تنطق بعدم رضاها .

وقال الأب لسامى ، قبل أن يهم بالصعود الى السيارة :

ـــ سامى . عد اخواتك .

فراح سامى يعدهم ثم قال :

ـــ سته والكلب .

فقال الأب فى انكار :

ـــ سته ازاى ! يبقوا ناقصين واحد عدهم تانى .

فراح سامى يعدهم مرة أخرى وقال :

ـــ برضه سته والكلب .

وأخذ الأب فى عدهم وهو يشير بأصبعه الى كل منهم ، فلما أشار الى سامى فغر فاه ، فقد عرف خطأ نفسه ، وقال الأب :

ـــ مش عارف تعدهم ؟ ! سبعه والكلب .

ـــ آه . أصلى نسيت أعد نفسى .

وقال الأب :

ـــ مش ناسيين حاجه قبل ما نمشى ؟

وقال الجميع :

ـــ مش ناسيين حاجه . يا يلا بقى .

وركب الجميع ، وانطلقت السيارتان ، حتى اذا بلغنا محطة بنزين عرجنا للتزود بالوقود وأطلت سوسن من نافذة السيارة وقالت :

ــ بابا •• بابا • أنا ما خدتش قرش • خليه معــاك لما نوصل •

وقال عاطف وهو يعطى الكلب لأبيه :

ــ بابا • خد سوزى شويه •

ــ حاضر ••

والتفتت أحلام الى أبيها وقالت :

ــ بابا ما قلتليش • لما فت ع الصايغ قال لك أيه ؟

ــ قال بعد بكره ح يسلمنا كل حاجه •

وقرعت « بابا » المتناثرة من السيارتين أذن عامل المحطة فاقترب من النافذة الجالس عندها حسين وقال له :

ــ اسم النبى حارسهم كلهم ولادك ؟ .

فقال له حسين وهو يبتسم :

ــ أيوه • والباقى سبتهم فى البيت •

فقال له الرجل فى رثاء :

ــ الله يكون فى عونك • دنا عندى تلاته عقلى ح يشت •

فقال له حسين فى بساطة :

ــ تلاته يبقوا صعب ، لكن لما بيزيدوا عن كده أمرهم بيهون •

واستأنفت السيارتان رحلتهما ، كان شفيق فى المقــدمة وجلال خلفه ، وكان السكون مسيطرا على سيارة جلال ، الأب

جالس يعبث فى شعر الكلب وعاطف واقف ينظــر من زجاج السيارة الخلفى بشاهد الحقول والترع والأشجار الممتــدة على جانبى الطريق وهو مأخوذ . كانت أول مرة يشاهد فيها ذلك الفضاء العريض . ووضعت أحلام رأســها على حافة المسند وشردت ببصرها ، وهامت فى عالم من الأحلام . كانت السعادة تغمرها ما دامت بالقرب من جلال .

وضاق سامى بذلك الصمت ، فقال :

ــ تعرف العربه يا جلال ؟

ــ طبعا .

ــ طب ياللا نطلع من شفيق .

وزادت سرعة الســيارة ، وانحرفت الى اليســار قليلا ، واستمرت فى تقدمها حتى أصبحت فى محاذاة سيارة شفيق فصاح سامى فى نشوة :

ــ هيه .

وشاركته أحلام فى صياحه ، ثم التفت عاطف وشاركهما فى التهليل ونظر الأب فألفى الأم ناحيته لم يكن يفصل بينهما الا لوحا زجاج السيارتين ، فأخرج لسانه لزوجته ، وانسابت السيارة حتى أصبحت فى المقدمة .

وضايق ذلك ركاب السيارة الأخرى ، فقال مراد :

ــ ياللا نسبقهم .

وقالت نبيلة :

ـ ياللا يا شفيق •

ولم تعترض الأم ، كانت تفكر فى طريقــة ترد بها على مداعبة حسين •

واندفعت السيارة فى عدوها تنهب الأرض ، ومرق شفيق بمهارة من جوار سيارة جلال ، ونبيــلة ومراد وســوسن يتصايحون مسرورين أما الأم فقد وضعت ابهامها على أنفها وراحت تحرك أصابعها فى الهواء زراية وسخرية • •

وانسابت السيارتان فى طريق زراعى ضــيق ، الحقول الخضر مترامية عن يمينه ، قامت فيها بيوت متواضعة من طين ، وامتدت الترعة عن يساره ، تتدفق بالأمل والحياة • وأحست الدواجن والطيور التى كانت تمشى فى تؤدة واطمئنان على شاطىء الترعة اقبال السيارتين ، فراحت تفسح الطريق ناشرة أجنحتها وقد ارتفعت صيحات الأوز ، حتى كادت تغطى على صوت السيارة •

ونظرت الأم ، فلمحت فلاحا مقبلا على ظهر حماره ، يسير فى عرض الطريق ، فقالت :

ـ حاسب يا شفيق الحمار

والتفتت سوسن ، وراحت ترقب الحمــار فى انتباه ، ثم قالت :

ـــ ماما . بابا بيقول لمراث يا حمار ليه ؟ دا الحمار كبير وبيمشى على ايديه ورجليه وله ديل وودان طويله !

ومد مراد يده وقبض على ذراعها وقال :

ـــ وبعدين معاكى ؟

ولم تأبه مه ، بل قالت :

ـــ ماما .. نفسى أركب حمار .

فقال شفيق :

ـــ دلوقت أركبك حمار . أدى احنا وصلنا .

ووقفت السيارة أمام باب كبير ، يتوسط سورا من اللبن ، مطلى بالجير ، وضغط شفيق على الكلاكس ، واذا بالباب يفتح وانطلق شفيق فى ممر بين الخضرة والأزهار والأشجار العالية ، وجلال فى أثره ، حتى بلغ سلالم الدار فوقف عندها .

وهبطت نبيلة والأم تحمل هالة ، وسوسن وعاطف ومراد ، وصعدوا فى الدرج قليلا ، ثم وقفوا ينظرون الى فناء الدار الواسع ، وفى وجوههم أعجاب . كانت الأشجار العالية كمردة حارسة على حوافه ، بينا غطت الخضرة المكان ، تتخللها ممرات نسقت تنسيقا بديعا ، ونبتت الورود والزهور فى أحواض تحف بها خضرة أزهى من الخضرة التى تغطى المكان جميعا .

ووقفت سيارة جلال ، وهبطت أحلام ووالدها وسامى وعاطف يحمل كلبه ، وخف اليهم شفيق وقال :

ــ حمدا الله ع السلامه •

وصعدوا بضع درجات ونظر الأب وقال :

ــ حاجه جميله •

فقال جلال وهو ينظر الى شفيق :

ــ مهندس زراعى ، ان ما كنش يهندس بيته ؛ ح يهندس بيت مين !

وسار شفيق أمامهم وقال :

ــ اتفضلوا •

وبلغوا ردهة تؤدى الى بعض غرف ، وفى جانبها الأيسر درج يقود الى الطبقة العليا وقال :

ــ اتفضلوا فوق استريحو وأنا وسامى وجلال وعاطف ح نستريح ونغير هدومنا هنا • وح نتقابل فى الجنينه تحت •

وصعدوا فى الدرج ، وقد ارتفعت الضوضاء ؛ سوسن تطلب ركوب الحمار وعاطف يقلدها ؛ ونبيلة تحث أحلام على الاسراع حتى لا يفوتهم التمتع باليوم كاملا •

وبدلوا ثيابهم والتقوا فى الحديقة . وقد تركت الأم هالة مع خادم قروية ، وقال شفيق :

ــ تعالوا أفرجكوا الجناين بتاعتنا •

وغادروا الدار ، وانطلقوا فى حقول الفواكه ، وراحت نبيلة تملأ رئتيها بالهواء ؛ وشفيق يسترق النظر اليها ، وسار جلال

الى جوار أحلام وقد أمسك يده فى يدها ، وراح سامى ومراد يعدوان ، وعاطف وسوسن يجريان فى أثرهما •

وقال جلال :

ــ ايه رأيك نمضى شهر العسل هنا ؟

وقالت نبيلة :

ــ يا ريت يا أحلام ، دى جنه •

وقال شفيق :

ــ اتفضلوا • العزبه واللى فيها وصاحبها تحت أمركم •

والتقت عيناه بعينى نبيلة ، فأحست أن حديثه لها ، فتفتحت نفسها ومست أوتار قلبها يد حنونة ، راحت تعزف أنشودة الحب الخالدة •

ــ وبلغوا حديقة المانجو . فوقف الجميع ينظرون فاغرى الأفواه ، حتى الأب سال لعابه ، ومد شفيق يده وقطف واحدة ، وقال :

ــ دوقوا مانجتنا ، مانجه حلوه •

وهجم الجميع على المنجو ، وغاصت أقدامهم فى الطين ، ولكنهم لم يحفلوا بذلك ، وامتدت الأيدى ، وقطفت الثمر المتدلى ، وتلوثت الأكف والوجنات والذقون وراح عاطف يمسح يديه فى صدره ، ونهرته أمه ، واعتبر مراد فلم يمد يديه الى ثيابه ، بل راح يمسحها فى ورقة من أوراق الشجر ، فاختلط

عصير المانجو بالتراب ، ومرر يده على فمه وذقنه وخديه ، فاذا بوجهه يتلوث بالطين ، ولمحته نبيلة ، فراحت تضحك وهى تشير اليه بأصبعها ، وسدد الجميع اليه نظراتهم ثم انفجروا ضاحكين :

واستمروا فى تجوالهم ، وفى عودتهم الى الدار مروا بالحظيرة ، فألفوا حصانين وبعض أبقار ، وراح شفيق يمرر يده على رقبة الحصان وقال سامى لأبيه :

ــ مره يا بابا حكيت لنــا انك ركبت حصان فى الهرم وسبقت بيه أتومبيل • الحصان أهه ، ورينا يا بابا بتركبه ازاى ؟

والتفت الأولاد جميعا حول أبيهم وقالوا :

ــ والنبى يا بابا عايزين نشوفك وانت راكب الحصان •

واتسعت عينا الأب ، وبلع ريقه ونظر الى زوجته يتوسل اليها أن تنقذه ، ولكنها أعرضت عنه ، فلم ير مفرا من التهرب والتماس المعاذير ، فقال :

ــ مش دلوقت • تعبنا م المشى •

فقال سامى :

ــ والعصر يا بابا بعد ما تستريح ح نحضر لك الحصان •

وقالت سوسن لشفيق :

ــ عايزه أركب الحمار •

ـــ حاضر .

وأمر خادمه أن يحضر حمارين .

وعادوا الى فناء الدار وجلسوا على كراسى خيزران صفت فوق الحشيش ، وجيء بالحمارين ، فهـرع مراد وسوسن وعاطف اليهما ، وركب مراد حمارا ، وركب عاطف وسوسن الحمار الآخر ، وقال الأب :

ـــ طالع فوق شويه أستريح .

وقالت الأم :

ـــ لما اطلع أنيم هاله .

وانصرف الوالدان ، وذهب شفيق وأحضر فونوغرافا ، وجلس على الحشيش ، فترك جلال وأحلام ونبيلة وسامى كراسيهم وجلسوا على الأرض .

وانبعثت الموسيقى ، كانت نفس الموسيقى الراقصـة التى انسابت يوم حفلة المدرسة ورقصت عليها نبيلة .

ونظر شفيق الى نبيلة وقد توجت فمه بسمة ، فأطرقت نبيلة حياء ، وقال جلال :

ـــ ياللا يا نبيله .

فأدارت وجهها ، وقالت :

ـــ لأ .

وقالت أحلام :

ـــ وش كسوف قوى • ياللا •

وقالت لشفيق :

ـــ دور الأسطوانه م الأول •

ونهضت نبيلة ، وبدأت في الرقص ، وتعلقت عينا شفيق بها ، وراح يمرر لسانه على شفتيه •

وانتهت نبيلة من رقصتها ، وارتمت على الأرض ، وشفيق يتفرس فيها • ونهض جلال وجذب أحلام من يدها ، وقال وهو ينظر الى الحمارين :

ـــ تعالى ناخد لنا دور •

وقامت أحلام . ونهض سامي وقال :

ـــ وأنا جاي آخد دور كمان •

وهبط مراد عن ظهر الحمار ، وراح جلال يعاون أحلام على امتطائه ، وهي تميل على صدره وتضحك ، حتى اذا ما استوت على ظهره وأمسكت باللجام ، لكزه في بطنه فهرول وأحلام تصيح وتضحك وتطلب النجدة •

وركب جلال الحمار الآخر وراح يعدو في أثرها ، ويضرب حمارها وهي تتوسل اليه أن يكف • وانطلق مراد وسوسن وعاطف يجرون خلفهم ، بينا وقف سامي يرصد أحلام وينتظر عودتها ليأخذ الحمار منها •

وبقي شفيق ونبيلة وحدهما على الأرض ، راحا يتبادلان

النظرات ويتناجيان بأرق حديث وأعذبه وان لم تتفرج لأحدهما شفة . كانا يتحدثان حديث روح لروح . وقلب لقلب .

ومر الوقت ، وجاء العصر ، فاذا بشفيق قد أقبل يقود الحصان من لجامه . وقد أسرجه ، ونبيلة تسير الى جواره وأحلام وجلال والأولاد جميعا خلفه . وقد اتسخت ثيابهم ، وكان مراد أكثرهم قذارة .

ووقف شفيق عند درج الدار . وصعد مراد وسامى يهرولان . حتى اذا بلغا الغرفة التى بها والداهما قال سامى لأبيه :

— بابا الحصان جاهز تحت .

ونظر الأب من النافذة ، ورأى الحصان يهز ذيله ويضرب الأرض بحافره . ويصهل . فعاد وهو يمرر يده على بطنه ويقول :

— بطنى ح تطق ، كلنا كتير ع الغدا . مش قادر أتحرك ، بلاش النهارده ، مره تانيه .

وأرادت زوجته أن تداعبه ، فقالت له :

— يا راجل انزل اركب شويه .

ورمقها فى عتاب ، ثم اتجه الى السرير وتمدد فيه وقال :

— مش قادر اتحرك النهارده . مره ثانيه .

ويئس أبناه منه ، فغادراه وهبطا ، وانصرف السائس بالحصان ، وقال سامى :

ــ عايزين نلعب حاجه .

فقال مراد :

ــ نلعب الكوره .

فقالت نبيلة :

ــ لأ . نلعب حاجه تانيه .

فقال شفيق :

ــ نلعب استغمايه .

وقال الجميع :

ــ موافقون .

ــ أيوه ، نلعب استغمايه .

وقال جلال :

ــ مين الحفاء ؟ .

فقال مراد :

ــ أنا .

وقال سامى :

ــ لأ . أنا .

وقال شفيق وجلال :

ــ خلى سامى الحفاء .

وأغمض سامى عينيه ، وأخذ الجميع يتسللون ليختفوا منه ، وجرى مراد بعيدا ، وقالت أحلام لسوسن وعاطف همسا :

ــ اطلعوا فوق استخبوا عند ماما ٠

وأطاعاها ، وصعدا فى الدرج ، وذهب جلال وأحلام ليختفيا خلف الدار بينا خرج شفيق ونبيلة من الباب الكبير ، وصاح سامى :

ــ خلاص ؟ ٠

وجاءه صوت شفيق من بعيد :

ــ لسه ٠

ودلف شفيق ونبيلة الى الحظيرة ، وصهل الحصان ، وأشار له شفيق أن يصمت وهو يقول :

ــ هس ٠

ووقف شفيق والى جواره نبيلة ، ومس شعرها خده ، وملأ عبيرها أنفه ، فانبثقت فى أغواره مشـــاعر رقيقة ، واستشعر غيبوبة لذيذة تغلفه ، وحنانا طاغيا آمرا ، يستبد به فلا يستطيع أن يعصى أمره ، فمد يده وجذبها من يدها فاستدارت له ، وتألقت عيناه بالرغبة ، وضمها اليه وقبلها ، فنظرت اليه بعينين ترقرقت فيهما الدموع ، فقال لها فى وجد :

ــ تروحى الجامعه ، واللا تتجوزينى وتقعدى فى البيت ؟

فقالت وهى هائمة فى عالم بهيج من الأحلام :

ــ لأ ٠ البيت أحسن ٠

الفصل الخامس عشر

وضعت أحلام حقيبـــة كبيرة على سريرها ، وراحت تصف فيها ملابسها الداخلية والمنزلية ، وأخذت نبيلة تعاونهـــا ، فأخرجت من الصوان بعض قمصان النوم والقطع الدقيقة التى تفتق ذهن صانعى الجمال عنها : لرفع الثديين ، وبعض القطع الصغيرة من الثياب ؛ التى تسدل القمصان فوقها ، ولمحتها أحلام وهى ترفع رأسها عن الحقيبة ، فقالت لها :

ـــ خلى الهدوم دى عندك .

ـــ ليه ؟ .

ـــ مش ح اخدها دلوقت . ح البسها فى الخمس أيام اللى فاضلين لى هنا .

ـــ خديهم معاكى بالمرة ، وابقى البسى من هدومى .

فقالت أحلام وهى تحاول أن تغلق الحقيبة :

ـــ يمكن أسيبهم هنا على طول ، أبقى ألبسهم لما آجى أزوركم .

فقالت نبيلة وهى تعيد الثياب مكانها :
ـ خليهم زى مسمار جحا !
وارتفع صوت سوسن :
ـ ماما •• ماما •• الحقى • عاطف غرق هدومه ميه وهو بيحمى سوزى •
فصاحت الأم من غرفتها :
ـ عاطف ، اقفل الحنفيه دى ، واخرج من عندك •
وصاح عاطف :
ـ سوزى اتمرغ فى الوحل باحميه •
ـ اخرج من الحمام أحسن ان قمت لك ح اقصف رقبتك •
وخرج عاطف من الحمام ، وقد ابتلت ملابسه ، وهو يحمل سوزى ويضمه الى صدره ، والماء يتقاطر من جسمه ، ولمحته أمه فهرعت اليه وهى تصيح :
ـ هو انتو قرود • دوختونى •
وجذبته من يده وقالت وهى تذهب به الى غرفته :
ـ تعال غير هدومك اللى متلق دى •• ح تعيى وتموت •
فقال وهو يهز كتفيه فى زراية :
ـ بتضحكى على • مش ح اموت • الصغيرين مايموتوش •
ـ مين اللى قال لك كده ؟
ـ مراد •

وأطلت نبيلة برأسها وضحكت ، ثم دارت على عقبيها ونظرت فألفت أحلام تديم النظر الى سريرها وقد شردت فى تفكير ، فرمقتها فى صمت ، أحست ما يعتمل فى صدر أختها من مشاعر ، وفطنت أحلام الى وقفة نبيلة ، فالتفتت اليها وقالت وهى تقبض بيدها على السرير :

ـ أول سرير اتنصب هنا أول سرير ح يتفك •

فخطت نبيلة خطوة حتى لمست كتفها كتف أختها وقالت :

ـ مش ح يتفك أبدا ، ح يفضل منصوب على طول ، لما تجينا تبقى تريحى فيه ، وبكره هاله تكبر وتنام فيه •

ولفت نبيلة يدها حول كتف أختها وقالت :

ـ ح توحشينا •

ونظرت أحلام الى أختها وقد اغرورقت عيناها بالدموع •

وخرج سامى من غرفته وفى يده كرفاتة يقلبها فى زراية ، وقد لوى شفته السفلى ، وانطلق الى غرفة أبيه ، فوجد أباه مطرقا فى صمت ، فلم يحترم خلوته ، وقال :

ـ الكرافاته اللى جبتها لى مش حاجه •• مش ماشيه مع البدله • عندك كرافته تبقى على بدلتى الجديده شيك خالص •

فقال الأب فى استسلام :

ـ الكرافاتات كلها عندك ، خد اللى انت عايزه •

وعادت الأم ، ورأت سـامي يقلب فى كرافتات أبيـه ، فقالت له :

ــ انت مش ح تبطل الطمع ده ، ياللا بره بلاش دلع •

ولم يحفل بها ، أخذ الكرافتة التى يريدها ووضعها على كتفه ، وخرج فى تؤدة ، وقد صم أذنيه عند تأنيب أمه •

ورمقت الأم زوجها ، فاذا به صامت ، فقالت له :

ــ مالك سرحان النهارده ؟ •

ــ تعبت • ادينت ومابقاش معايا حاجه أبدا •

ــ الحمد لله البنت اتجهزت • وكلها يومين وتتستر ، وبعدها يحدلها ربنا •

ــ اتزنقت قوى •

ــ برضه انت اللى زنقت روحك • لو خليته يجيب المشمع والنجف والنملية وأدوات المطبخ وملة السرير زى الناس كلها ما بتعمل ، ما كنتش ازنقت كده •

ــ دى كلها حاجات فارغه •

ــ أهو برضه كان تمنها نفع دلوقتى •

ورفع بصره اليها وقال :

ــ اسمعى يا زينب ، عايزين نلم نفسنا ، نكتب الكتاب ع الضيق لو اتفخرنا ح نتفضح •

ــ وأنا ليه مين يا حسره ، ح اقتصر ع العيله وبس •

ـــ والعريس لأ ؟

ـــ العريس اذا كان ح يعزم يعزم على بيته ••• ما قلتليش اتفقت على ايه مع أبوه ؟ •

ـــ ح ييجوا بعد صلاة العشا يكتبوا الكتاب ، وبعدها ياخد العريس عروسته ويمشى •

ـــ كله بيتقضى ، كلها كام يوم ونفوق على طول •

ورن الجرس ونينا متصلا ، فخفت سوسن تفتح الباب ، فقرع أذنيها صوت خروف ، فاذا بها تعود مهرولة وهى تصيح :

ـــ ماما •• ماما • الحقى • خروف •

وقال الأب فى تساؤل :

ـــ خروف ايه يا بت ؟

ـــ والنبى خروف يا بابا •

أسرع سامى وعاطف وأحلام ونبيلة الى الباب وقامت الأم وخرج الأب خلفها ، وقد اختفت خلفه سوسن ، وفتح الباب ، واذا بأربعة ديوك رومى تتدفق فى كبرياء ، وفى أثرها خروف سمين يدفعه مراد •

وقفز سوزى من يد عاطف ، وراح ينبح ، وأسرع عاطف يقبض على ديك ، بينا صرخت سوسن رعبا من الخروف • وارتفعت أصوات سامى وأحلام ونبيلة ، فأصبحت الشقة أشبه بحمام عام قطعت عنه المياه •



[illegible]

وصاح الأب فى ضيق :

ـ بس بقى . ايه الزيطه دى ؟ !

وخفتت الأصوات ، وقال الأب لمراد :

ـ ايه ده ؟ .

فقال مراد وهو يدفع الخروف :

ـ شفيق بعتهم .

ـ ايش عرفك ؟

ـ الراجل اللى جابهم واقف تحت ، كان معاه الاسم والعنوان ، وقال ان سى شفيق اللى باعتهم .

وقال الأب فى مرارة :

ـ وليه بعتهم بس ؟

فقالت نبيلة فى زهو :

ـ بعتهم هدية يا بابا .

وقالت الأم :

ـ طب ياللا طلعوهم ع السطح .

وأخذ الأولاد يدفعون الخروف أمامهم ، وسنوزى ينبح ، وراح سامى يهشر الديوك لتشق طريقها خلف الخروف .

وقالت الأم للأب :

ـ مش ح ندى الراجل حاجه ؟ .

وتحرك الأب نحو غرفته ، وقالت الأم لسوسن .



— والنبي خروف يا بابا .

تعالى يا سوسن ادى الفلوس دى للراجل اللى واقف تحت •

ومد الأب يده فى جيب جاكتته المعلقة فى المشجب ، وأخرج ريالا أعطاه سوسن فانطلقت تعدو ، ورفعت الأم بصرها وقالت وهى تصيخ السمع :

ــ لو فيه مكان واسع فى الشقه كنت خلتهم فيها . يا خوفى لحرامى يسرقهم •

فقال حسين وهو يرفع أكف الضراعة .

ــ يا ريت ! •

ــ ليه بس ؟ •

ــ كنت استريحت م الفتحة اللى ح تتفتح عليه دى •

ــ فتحة ايه ؟

ــ الخروف والديوك دى مش عايزه طباخ ؟ !

ــ مش فيه ناس م العيله ح ييجوا من أول النهار . أهو الطباخ يغديهم ، واللا مين كان ح يغديهم ؟

ــ كنا ح نطبخ لهم حلتين •

ــ أهو الطباخ ح يطبخ لهم الحلتين دول •

ــ والطباخ معوز فراش •

ــ مش كنا ح نجيب كرسيين للناس يقعدو عليهم . ايه اللى ح يزيد علينا ؟

فقال الرجل وهو يهز رأسه أسفا :

ــ جت رجلي وخلاص .

فدنت منه وقالت مواسية :

ــ ربنا يخليك لهم ، وتفرحهم . هم لهم مين غيرك ؟

فقال الرجل في استسلام :

ــ لو كان فيه معلهش ، انما ما فيش خالص ، الفلوس كلها طارت .

ــ كله يدبر .

وعادت سوسن ، فقالت الأم :

ــ اديتي الفلوس للراجل ؟

ــ أيوه .

ــ وقال لك ايه ؟

ــ قال لي : قولي لأم العروسه : مبروك .

وأشرق وجه الأم ، ورمقها زوجها من طرف عينه ، فانبسطت تجعدات جبهته ، ولم تتفرج شفتاه .

وعادت الضوضاء الى الشقة ، ارتفع صوت نبيلة وسامي ، قالت نبيلة :

ــ انت مالك ما تسيبه .

ــ اسيبه ازاي لما يتعور ؟

وقالت الأم :

— فيه ايه ؟

فقال سامى :

— عاطف مش عايز ينزل . قاعد جنب الخروف فوق .

— سيبه .

وساء سامى أن يهزم ، فقال :

— ح يموت الديوك .

فقالت الأم :

— ما لكش دعوه بيه ، وريح نفسك انت .

وانسابت نبيلة على أطراف أصابع قدميها وهى ترنو الى سامى من فوق كتفيها ، ولمحت أحلام الشرر فى عينى سامى ، فقالت له :

— عايز تغيظها ، ما تسألش عنها .

ونهض الأب يرتدى ثيابه ، فقالت له الأم :

— على فين ؟

— أروح أشوف الطباخ والفراش .

— وأنا ح اخرج مع أحلام نعزم العيلة .

وبلغ ذلك مسامع أحلام فقالت :

— مش ح اقدر أخرج معاكى يا ماما عشان فايزه أخت جلال جايه تشوف الجزمه اللى ح البسها ليلة الفرح تشترى زيها .

ــ فايزه جايه ؟ والله احنا مـا فينا خير ، اللى ما سألنا عنها ، ويوم ما رحنا العزبه اللى ما قلنا لها تيجى •

فقالت نبيلة :

ــ احنا كنا معزومين ح نعزم غيرنا ! اذا كان جلال عايز يجيبها كان جابها معاه •

فقال سامى وهو ينظر الى أحلام :

ــ هو جلال فاضى لها ؟

ورمقته أحلام فى شزر ، فاضطر الى كبح جماح لسانه . ودار على عقبيه وانصرف وقالت الأم :

ــ آخد نبيله معايه ، ياللا يا نبيله البسى ما تعطلنيش •

فضحكت نبيلة ضحكة طويلة ممدودة ، حتى ان عدواها قد سرت الى أحلام وسوسن . وقالت وهى تقلد أمها :

ــ أنا الى ح اعطلك ! قال على رأى المثل : لو الجمل حس بصنمه ••

فقالت الأم فى عصبية :

ــ ما باحبش اخرج معاكى يا بت انتى من لسانك الطويل •

***

وانطلق حسين الى طباخ ورثه عن أبيه ، كان يقيم موائد أفراحهم وأطقم مآتمهم ، وانتقل موقده الى أسطح بيوت الأسرة جميعها ، واحتل أفنية مدافنها ، وما كان فى اعداد طعامه يفرق كثيرا بين ما يقدمه فى الأفراح وفى الأتراح •

وحياة حسين وجلس ، وقال له :

ـ عندى كتب كتاب أحلام يوم الخميس ، وعايزينك تيجى تطبخ لنا حلتين ع الضيق •

فاعتدل الطباخ وقال :

ـ انت مش عازم حد أبدا ؟ •

ـ يا دوب العيله ح تيجى وبس •

ـ يبقى الكلام اللى بتقوله مش ح ينفع ، اسألنى أنا ع العيله •

ـ أنا عندى خروف وأربع ديوك رومى ، عشره •• خمستاشر ح يتغدوا والباقى للعشا •

فضحك الطباخ وقال :

ـ عشره خمستاشر ؟ ! دول يدوب أهل البيت • الكلام ده ما ينفعش •

وأحضر ورقة وقلما وناولهما لحسين وقال :

ـ أول ما نبدى نبدى بالمورد ، اللهم اجعله ورد ، إكتب يا سيدى عندك قزازة ماورد و ٢٠٠ بيضه وعشرين وقة دقيق أمريكانى •

فقال حسين معترضا :

ـ عشرين وقة دقيق أمريكانى ليه ؟ مش ناوى تشترى عيش ولا ايه ؟ •

ـ والنبى يا حسين بيه نكتب ، اياك يكفو الفطاير اللى ح نعملها •

واستأنف املاء ما يريد كأنما يقرأ فى صفحة مكتوبة :

ــ وقة شعريه ، سبع أقداح رز ، ميت رطل لحمه عجالى .

فقال حسين معترضا :

ــ واللحمه العجالى ليه ؟ ما عندنا الخروف !

فقال الطباخ فى بساطة :

ــ ح نعمل م الخروف كفتة والا لحمه عصاج ؟ والنبى تكتب قبله وبعدين شوف اللى عايز تقوله ايه .. أربع مراوح ضانى ، خمستاشر جوز حمام .. خد الخضار : عشرة أرطال كوسه صغيره للحشو . خمسة أرطال ورق عنب . خمسة أرطال فاصوليا خضره ، علبتين بسله نشفه . خد عندك الحاجات دى عشان الحلويات : اتنين كيلو شيكولاطة كتل ، واتنين كيلو شيكولاطة مجروشة ، وتلت وقات كريز وخمس علب أناناس وخمس وقات موز ، وخمسه كيلو كريمه وعشر وقيات فسدق . وعشرين لمونه .

ورفع حسين القلم عن الورقه وقال :

ــ ح تعمل ايه بالحاجات دى كلها ؟

ــ طرطات وهريسه وخشاف وألمظيه ومهلبيه .

ــ ما كفايه صنفين .

ــ لو الحاجات دى كفت يبقى ستر من عند ربنا .

ــ أنا مش عامل حاجه ومش عازم حد ، و ... و ...

ــ والنبى تكتب قبل ما انسى .

ــ لسه فيه كتابه ؟

ـ عشرين رطل سمن ، والبصل والفلفل والملح •
ـ الحاجات دى فى البيت •
ـ وحملين خشب رواجع ونص قنطار فحم وسلامتك •
ورفع حسين رأسه وقال
ـ خلاص خلصت ، اسمع يا سيدى • أنا مش ح اجيب الا نص الحاجات دى •
ـ يا ريت ! •
ودنا من حسين وقال له كصديق يهمه مصلحته :
ـ بقى نصرف المصاريف دى كلها ونيجى ع الآخر ونفضح نفسنا ؟
فقال حسين وهو ينظر الى الأرض :
ـ بس الواحد ح يجيب منين ؟
ـ كله برزقه •
أراد أن ينهى هذا الحديث ، ويتحدث فى موضوع آخر فقال :
ـ واتفقت ع الفراشة مع مين ؟
فقال حسين فى استسلام :
ـ والله لسه ما اتفقتش مع حد ، لكن ما فيش الا عماره ، على قدنا وابن حلال •
فقال الطباخ :
ـ واهو الراجل بتاعنا برضه •• ح تروح له امتى ؟

ـــ بكره •

ـــ وليه بكره ما تياللا نفوت عليه دلوقت •

وسارا يتحدثان حتى بلغا مخزن فراشة الحاج عمارة ، وكان الحاج جالسا خلف مكتب والى جواره بعض المقاعد الخشبية ؛ بينا وضعت الكراسى المذهبة فى صدر المخزن فى عناية •

وقال حسين :

ـــ السلام عليكم يا معلم عماره •

ـــ وعليكم السلام حسين بيه • اتفضل •

وجلس حسين وجلس الطباخ ، ولم يشأ حسين أن يضيع وقتا ، فقال :

ـــ يوم الخميس كتب كتاب بنتى ، عايزين كام كرسى •

فقال الطباخ :

ـــ الكلام ده ما ينفعش ؛ نقوم نشوف المكان اللى ح يتفرش أحسن •

وقال المعلم عمارة :

ـــ أحسن •

ثم نهض وقام الطباخ وحسين وانطلقوا الى الشقة . وراحو، يجوسون خلالها ويدخلون غرفها غرفة غرفة ، والفراش يقلب عينيه فى الأثاث ويلوى شفته السفلى ، ولما انتهوا من طوافهم ، قال الفراش :

ـــ العفش اللى فى الشقه لازم يتكوم فى أوده واحدة ويسك عليها •

فقال حسين فى فزع :

ـــ يتكوم فى أوده واحده ؟ وليه كده ؟ ! •

فقال الفراش :

ـــ لو فضل العفش ده ، الناس ح تقعد فين ؟ ح نفرش الأرض سجاجيد ونرص الكراسى فى الأوض • نجيب كام كرسى مذهب ؟

فقال حسين :

ـــ كفايه دسته •

فقال الطباخ :

ـــ دسته تعمل ايه ؟ ع الأقل دستتين •

وقال حسين :

ـــ ولما ح تملا الأوض كلها كراسى ، الناس ح تاكل فين ؟

فقال الطباخ فى بساطة :

ـــ ح نشد تركين قماش وننصب البوفيه فى السطح •

وانتهت المناقشات ، وشد الطباخ والفراش على يد حسين ، وهما يقولان :

ـــ ربنا يتمم بخير •

وانصرفا وارتمى حسين على الأريكة فى الردهة ، وقد شرد ببصره ثم راح يدلك جبهته نبطن كفه .

ورن الجرس ، وأسرعت أحلام تفتح الباب ، ودخلت الأم ونبيلة ، يلوح التعب فى وجهيهما ولكن ما أن وقعت عينا الأم على أحلام ، حتى قالت :

ــ فايزه عندك ؟

ــ لا والله . نزلت قبل ما ييجى بابا .

ــ هو بابا جه ؟

ودخلت الأم . وجلست عى الأريكة بجوار زوجها وقالت وهى تخلع حذاءها رحمة بقدمها :

ــ خير . هه عملت ايه ؟

فقال فى صوت خافت :

ــ خير .

وأحس أن نبرات صوته توحى بالضيق ، وخشى أن يتسبب فى انقباض صدر أهل بيته فى أيام فرحهم ، فتظاهر بالنشوة ، وقال لزوجه :

ــ هيه . عملتوا ايه ؟

فقالت الأم :

ــ عزمنا الناس اللى حوالينا .

ــ عزمتوا كتير ؟

ــ لا مش كتير •

فقالت نبيلة فى استنكار :

ــ مش كتــير ؟ مش كتــير ازاى ؟ ! دا ما فيش بيت ما دخلناهش •

فالتفتت الأم اليها وقالت :

ــ يا بت بلاش تهويل •

فقالت نبيلة وهى تتململ فى وقفتها :

ــ لو رجلينا تعرف تتكلم ، كانت حكت اللى جرى لها •

والتفتت الى أبيها وقالت :

ــ تعرف يا بابا لو اللى عزمناهم كلهم جم ، ح يبقى الناس على بعضهم •

فقالت الأم :

ــ هو معقول كل اللى عزمناهم ح ييجوا •

فقالت نبيلة :

ــ هو معقول حد يتعزم ولا يجيش • والله اللى ح ييجوا أكتر م اللى عزمتيهم • يا ما ناس بتيجى من غير عزومه •

وقامت الأم وهى تقول :

ــ يا بت انتى هوائه ، ما تبقيش تخرجى معايا أبدا •

وانصرفت الأم الى غرفتها ونبيلة تقول :

ــ بكره ح نشوف •

الفصل السادس عشر

وأشرقت شمس يوم الأربعاء ، اليوم السابق لليلة الخطيرة المرتقبة ليلة الزفاف ، فدبت الحياة في الشقة مبكرا ، استيقظت الأم وأحلام ونبيلة ، ورحن يرقبن عمال الفراش ، وهم يكدسون الأثاث في الردهة التي كانت معدة لاستقبال الضيوف ، وأخذ سامي ومراد وسوسن يحملون الكراسى الخيزران على رءوسهم ، ويقومون بصفها في الغرف التي فرشت بسجاجيد الفراش الكبيرة الحمراء ، التي نمقت بزخارف عربية زرقاء وصفراء وبيضاء ، استوحيت من غصون الشجر والأوراق والأزهار .

وراح عاطف يقفز فوق الكراسي ، والكلب في أثره ، يصعد اذا صعد ، ويهبط اذا هبط ، وجاء الأب يحمل هالة على ذراعه . ولم يكن منسبط الوجه ، كان يلوح عليه آي التفكير .

ورأى هبوط عاطف وصعوده وحركته الدائبة بين الكراسى ، فقال له :

— انت هنا بتعمل ايه ، اطلع السطح اتفرج • الطباخ ح يدبح الخروف •

والتفتت سوسن وأصاخت سمعها ، ووضع مراد الكرسى الذى يحمله والتفت ، بينا جلس سامى على أحد الكراسى المصفوفة ، وربع يديه فوق صدره العارى • كان يرتدى بنطلونه القصير الأبيض وحذاء أبيض من المطاط ، واشرأب بعنقــه بنظر •

وذهب عاطف الى أبيه وقال ، وعيناه تنمان عن خبث :

— عايزنى أطلع السطح وأتفرج على الخروف لما يدبح ؟

— آه •

— هات قرش قبله •

وأخرج الأب قرشا من جيب بنطلونه ، فالتقطه عاطف فى خفة الحدأة التى تلتقط حشايا طير مذبوح ملقاة فى خربة ، واقتربت سوسن من أبيها وقالت :

— بتجيب الفلوس منين يا بابا ؟ •

وقفزت الى ذهنه اجابات كثيرة ، ولكنها ما كانت تصلح اجابة عن سؤال طفلة لا تدرى ما الحياة وقسوتها ، أيقول لها من عرق الجبين الممتزج بتحمل سخافات رؤساء تافهين ؟ أيقول لها من الملق والرياء ؟ أيقول لها من كتم أنفاس صوت الضمير والسير فى مواكب النفاق ؟

وشرد قليلا وقد ازدحمت فى رأسه صور معتمة بغيضة ، نكأت جرح نفسه ، وحركت أساه ، حتى أنه أحس مرارة فى فمه ، ولكنه كبت مشاعره وقال :

ــ من الحكومه •

وقالت سوسن :

ــ والحكومه بتجيب الفلوس منين ؟

ــ من الناس • اللى عنده دكان تاخد الحكومه من مكسبه ، واللى عنده بيت تاخد الحكومه من الأجره اللى بيلمها م السكان •

فقال مراد :

ــ الحمد لله لا عندنا بيت ولا دكان • مش ح تاخد مننا الحكومه حاجه •

وقال سامى :

ــ يا ريت كان عندنا وكانت خدت •

وقالت سوسن :

ــ مش الحكومه بتديك فلوس كتير قوى يا بابا ؟

وتجمدت جبهته ، ولاحت فى وجهه مسحة من الحزن ، ورأى أن يئد ذلك الحديث الذى يحز روحه ويضنيه ، فقال :

ــ مش ح تطلعوا تتفرجو ع الخروف لما يدبح ؟

ورن صوته غريبا فى أذنيه ، خيل اليه أن فيه نبرة أسى

ساخرة تومىء الى العلاقة بين ذبحه وذبح الخروف ، فوقف مشدوها برهة ، وقال سامى وهو ينهض :

ــ يللا ع السطح .

واندفع الأولاد يصيحون ، والكلب يجرى خلفهم ، والتفت عاطف وقال :

ــ وهاله مش ح تتفرج ع الخروف لما يدبح ؟ .

فقال الأب ساخرا :

ــ هاله لسه صغيره ، لما تكبر ح تدبحه .

واختفى الأولاد عن عينيه ؛ ولكن أصواتهم كانت ترن فى أذنيه عالية مدوية ، وضم هالة الى صدره فى جنـــان وقال يناجيها :

ــ لما تكبرى ح تدبحى بابا ؟ ! ح تفلسيه كده ؟ ! لكن انت ذنبك ايه ؛ حد خد رأيك قبل ما تيجى ؟ احنا اللى جبناكى غصب عنك .

وراح يمرر شفتيه على صفحة خدها ويغمغم :

ــ اكبرى وفلسى بابا .

ولمح نبيلة قادمة ترتدى بيجاما ضـــيقة ، تفضح مفاتن جسمها ، فأربد وجهه ، ورفع شفتيه عن خد هالة ، وقال :

ــ واقفه يا نبيله قدام الرجاله الغرب بالشكل ده ؟

ونظرت الى نفسها فى دهش وقالت :

ــ فيه ايه يا بابا ؟ درعاتى متغطيه ورجليه متغطيه •

فقال وهو ينظر الى صدرها البارز ، الذى يكاد يقفز من البيجاما :

ــ لكن •• لكن •

ــ لكن ايه بس يا بابا ! اذا لبسنا فستان بكم جابونيز قلتم دراعاتكو عريانه ، وان لبسنا فستان قصير قلتو : عيب رجليكو عريانه ، وان غطينا دراعتنا ورجلينا ما نعجبش • أمال نعمل ايه بس •

ورن جرس الباب الخارجى ، فدارت نبيلة على عقبيها ، وقال لها أبوها :

ــ ما تفتحيش انتى • خشى جوه • أنا اللى ح افتح •

وانطلق الى الباب وفتحه ، واذا بثلاث سيدات من الأسرة وأولادهن ، وخادم تحمل بقجة كبيرة ، فيها ثياب منزلية كثيرة ، وحملت فى يدها مشجبا به فستان للسهرة ، كانت هيئتهم تدل على أنهم جاءوا ليستقروا ، وما أن لمحهم حتى قال مرحبا :

ــ أهلا وسهلا • اتفضلوا •

وارتفعت الأصوات من هنا وهناك :

ــ ألف مبروك • والله فرحنا قوى • أحلام دى بنتنا •

واندفعوا داخلين ، وما أن اجتازت الخادم الباب حتى

أطلقت زغرودة مدوية ، جعلت الأم وأحلام تهـرعان الى الردهة •

ودارت القبلات ، وترددت التمنيات ، وقالت النسوة وهن يضربن ظهر أحلام فى حنان :

ــ أهلا بعروستنا •

وانطلقوا الى الغرف الداخلية ، وقال الأولاد :

ــ أمال فين سامى ومراد وعاطف ؟

وتلفتت الأم ، فلما لم تجد أولادها قالت بصوت عال :

ــ أمال الأولاد فين ؟

فقال الأب من بعيد :

ــ طلعوا السطح يتفرجوا ع الخروف لما يدبح •

ولم ينتظر الأولاد حتى تدعوهم الأم الى اللحاق بأولادها ، بل انطلقوا مهرولين وهم يتصايحون •

ورن الجرس الخارجى ، فقالت الأم :

ــ افتحوا الباب على طول ، هو الباب يتقفل النهارده !

وخف الأب الى الباب وفتحه ، فاذا بسـيدة وبنـاتها وأولادها وقد حمل الأولاد تحت ابطهم لفائف فيها ثيابهم المنزلية ، بينما حملت احدى الفتيات فى يدها بقجة •

وابتسم ورحب بهم ، وأفسح لهم الطريق ، وأسرعت

الأم لاستقبالهم وقادتهم الى الغرف الداخليــة ، ليبدلوا ثيابهم ، وليرتدوا ما حملوه فى اللفائف والبقجة .

وأخذت أم العروسة تغدو وتروح فى الشـــقة ، دون أن يكون لها هدف ، والتقت بزوجها بالقرب من الباب ، فقال لها :

ـــ مالهم مبدرين كده ؟ !

فقالت الأم وهى تأخذ منه هالة :

ـــ العاده كده . بياتوا معاها ليلة الحنه .. آخر ليله لها فى بيت أبوها .

ـــ بياتوا معاها مش بيجوا م النجمه .

واتجه الأب الى بئر السلم ونادى :

ـــ سامى .. سامى .. انزل .

ـــ حاضر .

وهبط سامى فى الدرج قفزا ، حتى بلغ أباه ، فقال :

ـــ نعم ؟

فقال الأب فى صوت خافت :

ـــ قول للطباخ يعمل حسابه ان تلاتين ع الأقل ح يتغدوا ويتعشوا النهارده .

فقال سامى وهو يبتسم :

ـــ هو عامل حسابه : قال لى انه عارف العيله كويس .

ولاح فى عينى سامى كلام ، فقال له الأب يستدرجه للبوح له بما يحاول أن يكتمه :

ــ وقال لك ايه كمان ؟

فقال سامى وهو يخفض عينيه :

ــ وقال لى انه يعرف العيله أكتر منك . كنت عايز تعمل حاجه ع الضيق ، وهو ما وافقتكش . ما حبش يكشفك .

ــ طب اجرى حصله فوق وبلاش لت معاه .

وعاد الأب الى الشقه ، وجلس فى غرفة المكتب على كرسى من كراسى الفراش ، بحيث يرى ما يجرى فى الردهة ، ولمح زوجته فى غدو ورواح دون أن تفعل شيئا ، وسعت اليها الخادم الكبيرة ، التى جاءت مع الفوج الأول من الأسرة ، وقالت :

ــ قال يا ستى مش ح تعجنوا الليله دى حنه ؟

فقالت الأم فى استنكار :

ــ حنه ! الحاجات دى ما قدمت بقى .

فقالت الخادم فى استنكار :

ــ هو يبقى فرح من غير حنه ! اذا كنتو مش ح تتحنوا نتحنا احنا .

ــ والله ما عرف الحنه بتتباع فين !

ــ عند العطارين .

ورنت اليها رنوة معبرة ، لم يفت الأم مدلولها ، فأخرجت ورقة مالية صغيرة دفعت بها اليها وهى تقول :

ـ أشترى الحنه اللى عايزاها .

وارتفع صوت نسوى ينادي :

ـ يا ست يا أم العروسه .

فقالت الأم :

ـ حاضر . جايه .

وظل الأب يرقب ما يجرى فى الشقـــة ، وهو جالس فى مكانه .

وراحت ساعات النهار تمر وئيدة ، حتى ان حسينا ضاق بنفسه ، واستشعر مللا ممضا ، ومالت الشمس للغروب ، فاجتمعت الخادمات فى الردهة ، ورحن يغنين ، ويرقصن على نغمات طبلة ورق ، وخف الأولاد اليهم ينظرون .

ونظرت سوسن الى الفتاة التى كانت ترقص شزرا ، وقالت فى ازدراء :

ـ هو دا رقص ؟

وسمعت الفتاة سخرية سوسن فتوقفت وقالت :

ـ مش عاجبك رقصى ؟ ! تعالى فرجينا .

وقبلت سوسن التحدى ، وتوســطت الحلقــة وراحت ترقص ، وجعلت تهز كل عضلة فى جسمها ، حتى ان الفتاة

راحت ترمقها فى غيظ ، وارتفع تصــفيق الأولاد ، فخفت النسوة ينظرن مشدوهات ، ونظر الأب من بعيد ، ولأول مرة منذ الصباح رفت على شفتيه بسمة •

والتفتت سيدة الى أحلام وقالت لها :

ــ لو كانت كبيره شويه كانت لهفت العريس منك •

فقالت أحلام وهى تبتسم :

ــ ما انا لحقت اتجوزت قبل ما تكبر •

ومر الوقت فى ضحك ورقص وغناء وأكل ، وجاء الليل ومشت الأم الى حيث كان زوجها ، وراحا يتناجيان ، قال :

ــ فيه حد ما اتعشاش ؟

ــ كلهم كلوا •

ــ وح يناموا فين دول كلهم ؟

ــ ما تحملش همهم • دلوقت يناموا مطرح ما هم قاعدين • ليله وتنفض •

ــ عايزه الحق ؟ أنا تعبت خالص •

ــ كلها الليله دي وبكره • ونستريح بعدها على طول • استحمل شويه •

فقال مواسيا نفسه :

ــ خلص الكتير ما بقى الا القليل •

وارتفع صوت الخادم تنادى :

ـ يا ست يا أم العروسه •

ـ حاضر .. جايه •

وانطلقت اليها ، فقالت الخادم :

ـ ح نعجن الحنه فى ايه ؟

ـ عندك قروانه صغيره فى الحمام اعجنيها فيها •

وجىء بالقروانه ، ووضعت فى الردهة ، وتحلق الخدم حولها ، ووقف الأولاد ينظرون وراحت كل فتاة تلف حول كف زميلتها أشرطة فى تقاطع هندسى ساذج ، حتى اذا وضعت الحناء فى قبضة اليد ، بقى مكان الأشرطة دون خضاب ، فتبدو الكف منقوشة •

وتم لف الأشرطة ، وأغلقت الأكف على الحناء ، ثم ربطت القبضات بقطع من القماش الأبيض فبدت كرءوس الثوم الكبيرة !

ومشى الوسن الى جفون الصغار ، فتمددوا فى أماكنهم حيث كانوا جالسين ، ولمحتهم أم العروسة فى دورانها الدائب فى الشقة ، فقالت :

ـ يا عينى ! النوم غلبهم •

ونادت على الخدم وقالت لهم :

ـ تعالوا افرشوا المراتب ونيموا الأولاد •

وذهبت الفتيات خلفها حيث صفت الحشايا ، بعضها فوق بعض ، وقبضاتهن ملفوفة بالقماش ، والتفتت اليهن وقالت :

ــ شيلوا •

وتقدمت احداهن ، وحاولت أن تحمل حشية بين ذراعيها ، ولكنها أخفقت ، فقالت لها الأم :

ــ أنا عارفه كنتوا مستعجلين على الحنه ليه ! استنى لما أساعدك •

وتقدمت الأم ورفعت الحشية ووضعتها على عاتق الخادم ، وفعلت مثل ذلك مع الأخريات •

وأحس الأب التعب يمشى فى أوصاله ، فأخذ وسادة فى يده وانطلق الى الغرفة التى كدس فيها الأثاث ، ووضع الوسادة على مسند كرسى طويل ، ثم تمدد لينام •

وتململ فى رقدته ، وأحس ألما فى رقبته ، فراح يتحسسها بيده ، ولم يحتمل ما يقاسيه من تعب فى نومه ، فانتصب واقفا وأخذ الوسادة ووضعها على الأرض ، ثم رقد على البساط • وحن جسمه الى الراحة فراح فى سبات •

وانقضى الليل • وجاء النهار ، وخيل اليه أنه يسمع رنين جرس الباب الخارجى ، كان ما يسمعه أشبه بما يستشعره المستغرق فى حلمه ؛ ولكنه فتح عينيه ، فاذا برنين الجرس يصك أذنيه •

ونهض لينطلق كعادته الى المطبخ يأخذ وعاء اللبن ، فاذا به يحس ألما شديدا فى ظهره فتأوه ، وكاد يضطجع على المقعد الطويل ، ولكن رنين الجرس دفعه الى السير •

وأشرف على الردهة ونظر ، فاذا بأرضها قد غطيت بأجساد بشرية ، فاضطر أن يسير على أطراف أصابع قدميه ، وأن يقدر لرجله قبل الخطو موضعها ، حتى لا يعلو جسم سيدة ، أو يدوس فى بطن غلام !

وبلغ المطبخ بسلام ، وتناول الوعاء ، وعاد يشق طريقه فى مهارة وحرص بين الأجساد المتناثرة على الأرض ، المتشابكة من الأقدام ، حتى اذا بلغ الباب فتحه ، ومد يده بالوعاء ، فقال له الرجل :

— ربنا يتمم بخير يا بيه •

— متشكر •

وعاد يتلمس طريقه ، واذا بالثياب قد انحسرت عن السيقان الممتلئة ، فنظر ، وانشغل بالنظر عن اكتشاف الطريق ، فكادت قدمه تتعثر ، وارتج اللبن فى الوعاء ، فانتبه ، وراح يتقدم فى حرص شديد •

ووقف يغلى اللبن ، وأخرج من النملية الزجاجة وراح يغسلها ، حتى اذا ما فار اللبن صبه فيها وأغلقها بالحلمة

المطاط ، ثم اتجه الى الصنبور وفتحه ، ووضع الزجاجة تحت الماء المتدفق .

وكان يمص الحلمة مصة بين لحظة وأخرى ليطمئن الى مناسبة حرارة اللبن ، وخرج الى الردهة ، وراح يجوس خلال النائمين وهو ينقب عن هالة ، ويده ممدودة بالزجاجة .

ولمح مراد نائما على الأرض وقد رفع رجليه وأسندهما الى الحائط ، ورأى ســوسن عارية البطن كعادتها ، فمد يده وأسدل ثيابها على بطنها ، وأخيرا عثر بزوجته وقد نامت على ذراعها والى جوارها هالة ، فوضع الحلمة فى فم ابنته ، فاذا بها ترفع يديها وتقبض على الزجاجة ، فنظر مليا ثم انسل هاربا من المكان .

ودبت الحياة فى الشــقة وارتفعت الأصوات وتداخلت وامتزجت فانقلبت الى ضوضاء تحطم الأعصاب ، وأقبل سامى على أبيه وقال :

ــ ح اعمل لهم شاى فى ايه ؟

فقال له أبوه فى ضيق :

ــ ضرورى يشربوا شاى ! اياك نفطرهم احنا .

ــ فيه ناس طلبت شاى ؟

فغمغم الأب مندهشا :

ــ طلبت ؟ ! هى قهوه ؟ !

ثم رفع صوته وقال :

ـــ روح اعمل لهم شاى فى حلة .. فى طشت الغليه .

ـــ وح اجيب لهم شاى وسكر منين ؟!

ـــ خد من ملما .

وتحرك سامى لينصرف ، واذا بأبيه يقول له :

ـــ اسمع . قبل ما تعمل الشاى اطلع للطباخ قول له يحضر لهم الفطور .

ـــ حاضر .

وانصرف سامى وبقى الأب وحده فى الغرفة ، فراح يعد على أصابعه وهو يحدث نفسه بصوت مسموع :

ـــ غدا وعشا وفطور وغدا وعشا .

ولوى شفته السفلى فى ضيق ، وهز كتفيه فى استسلام ، وقال وهو يدور على عقبيه .

ـــ واحد مصارينه خرجت : كل واحد قال حته لقطتى .

الفصل السابع عشر

راح الأب يدور في الغرفات ، ويلقى نظرة أخيرة على المكان ، فعما قليل تغيب الشمس ويتقاطر المدعوون من كل حدب وصوب ، وأقبل سامى يرتدى بذلة أنيقة ، وكرفاتة غالية ، يتيه فى مشيته ، وأطل من الشباك ينظر ، فبدا عليه أنه ينتظر أمرا .

وجاء مراد غريبا لأول مرة ، فوجهه نظيف ، لا أثر للحبر فى أصابعه ، يرتدى بنطلونا ، وقميصا من الحرير الهفهاف ، وحذاء أسود يتألق ؛ وكأنما استشعر التغير الذى طرأ عليه ، فقال بصوت خافت :

ــ الطباخ بيقول عايز حمل خشب كمان .

فقال الأب فى تبرم :

ــ أنا تعبت خلاص . قل له يجيب اللى هو عايزه .

وأقبل عاطف يرتدى بنطلونا من القطيفة ، وقميصا تدلى فى أناقة فوق محيط البنطلون فأخفى جزءا منه ، وراح سوزى

يتقدمه وهو يبصبص بذيله ، ثم يتوقف حتى يلحق به ويتركه ، فيعود ليتقدمه ثم ينتظره •

وجاءت سوسن وقد قصت شعرها ، ووضعت الأحمر فى شفتيها وفى وجنتيها ، تخب فى ثوب منفوخ عند طرفه ، ضيق غاية الضيق عند خصرها •

وأسرع عاطف الى أبيه وقال له :

ــ مش أنا حلو ؟

فقال الأب دون أن ينظر اليه :

ــ حلو خالص •

فدنا من أبيه حتى التصق به وقال :

ــ طب هات قرش بقى •

فقال له الأب :

ــ ح تعمل به ايه ؟ عندنا كل حاجه • الى عندهم فرح ما ياخدوش فلوس •

وغمغم فى صوت خافت :

ــ يدفعوا بس •

والتف أولاده حوله ، فقال لهم فى ذعر :

ــ انتو ح تتكوموا فى حته واحده ! ؟ ما تتفرقوا •

وانتهز عاطف هذه الفرصة فقال :

ــ مش ح أمشى الا لما آخد القرش •

فقال الأب لمراد :

ــ خد أخوك للطباخ يديه حتة هريسه .

ومد مراد يده وتناول يد عاطف ، فقالت سوسن :

ــ وأنا يا بابا ؟

ــ وانتى روحى معاهم .

والتفت سامى وقال :

ــ يبقى المعازيم مش ح يلاقوا حاجه ياكلوها .

وخرج مراد وعاطف وسوسن والكلب فى أثرهم وأقبل الفراش وقال :

ــ عايزين نأجر كمان كام لمبه حمره .

فقال الأب فى ضيق :

ــ كفايه اللى أجرناه .

فقال الفراش ليقنعه :

ــ الزينه الى عملناها على واجهة البيت نورها فسخان ، بقى نصرف المصاريف دى كلها ، ونيجى ع الآخر نبوظ الطبخه على بقرش ملح !

ــ خلاص مش ح اعمل حاجه زياده عن اللى اتعمل ، كفايه بقى .

وسار الفراش الى جواره وقال :

ــ والميكرفون ؟

ــ مالوش لزمه .

وهز الفراش كتفيه وانصرف ، وأطل سامى من الشباك وهتف فى فرح :

ــ صحابى جم .

وخف الأب الى الشباك ونظر ، فاذا بجمع كبير من تلاميذ المدارس مقبلين ، فقطب جبينه وقال :

ــ مظاهرة دى !

والتفت الى سامى وقال فى استنكار :

ــ انت عزمت المدرسه كلها . ؟

ولم يرد سامى على استنكاره ، بل أسرع لاســتقبال أصحابه .

وغادر الأب الشباك وهو مذهــول ، وسار حتى غادر الغرفة ، فلمحته زوجته ، فأسرعت اليه وقالت له :

ــ انت لسه ما غيرتش هدومك ! الناس جت .

ــ أنا تعبت خالص . ما بقاش فى روح .

ــ خلص الكتير ما بقى الا القليــل . كلها كام ســاعه وننفض ، ونستريح على طول .

ــ وهدومى فين ؟

ــ فى الأوده اللى كومنا فيها العفش .

وارتفع صوت ينادي :

ــ يا أم العروسه •• يا ست أم العروسه •

ــ جايه • جايه حالا •

وذهب الأب يستبدل ثيابه ، وانطلقت أم العروسة تلبى رغبات المدعوات •

وتوافد الناس ، وازدحم المكان بالرجال والنساء والأطفال وجاءت فتيات صغيرات ، واذا بنبيلة تسرع اليهن وترحب بهن وتبالغ فى الترحيب ، فقد كن زميلاتها فى المدرسة •

ونظرت الفتيات الى ثوبها الأبيض فى اعجاب ، وقالت احداهن :

ــ مش ناقصك الا الطرحه البيضه وتبقى عروسه •

وقالت أخرى مستنكرة :

ــ بس ! لو كانت الحكايه كده كان كل شىء بقى سهل •• الرك مش ع الطرحه •

فقالت الأولى :

ــ أمال الرك على ايه ؟ •

فقالت الثانية وهى تضحك :

ــ الرك ع العريس •

وماج المكان بالناس حتى لم يعد هناك موضع لقدم : وخرج الأب بعد أن ارتدى ثيابه الأنيقة ، وراح يجوس خلال الجموع

وهو مأخوذ ، وأخذت صديقات نبيلة يرقصن ويغنين ، فسرى المرح وساد الفرح بهجة وحبور •

وقال قائل :

ــ العريس •

فسرت همهمة ، واشرأبت الأعناق ، وصوبت العيون الى الباب وتقدم جلال وأمه وأبوه وبعض فتيان وفتيات ، وكان شفيق بين القادمين •

وطفق شفيق يتلفت ، حتى وقعت عيناه على نبيلة ، فشق طريقه اليها . وصافحها فى شوق ولم يكتف بالسر الذى أخذت عيناه تبوحان به ، بل زم شفتيه وفطنت نبيلة الى أنه يبعث اليها بقبلة ، فغضت من بصرها ، وان كانت ينابيع الغبطة تفجرت فى أعماقها •

وانطلق جلال وأبوه وأمه ومن كان فى رفقتهم الى الكراسى المذهبة ، واحتلوها • والتقى حسين بزوجته ، فقال لها همسا :

ــ علب الملبس مش ح تكفى • مافيش الا اننا نقدم الملبس على صوانى • با دوب كل معزوم ياخد ملبسه •• أنا تعبت خالص •• امتى المولد ده ينفض !

ــ بعد الكتاب ، يطلعوا البوفيه ، وكل واحد يروح لحاله ، وينفض المولد ده •

وسحب رجل الأب من ذراعه ، وهو يقـول له : المأذون جه ، اتفضل •

وجلس الأب وجلال يتصافحان ، وأسـدل على يديهما منديل من الحرير ، وجلس المأذون بينهما يلقنهما صيغة الرباط المقدس ، ووقف شفيق ينظر ونبيلة الى جواره •

والتقت عينا شفيق بعينى نبيلة ، فاذا بالحب يتحدث ، واذا بكل خلجة من خوالجهما تنم عن العاطفة الجياشة ، ومد شفيق يده وقبض على يد نبيلة ، وراح يضغطها فى رفق وحنان •

وأطلقت الزغاريد ، ايذانا بانتهاء العقد ، ودخل الفراشون يحملون أكواب الشراب الوردى على صوانى من الفضـة ، وامتدت الأيدى واختفى الشراب فى الأجواف •

وقام جلال يصافح المدعوين ، واذا بشـفيق يجذبه من ذراعه ويقوده الى حيث كانت أحلام •

كانت أحلام فى ثياب العرس ، وقد أسدلت نقابا شفافا على وجهها ، فمد جلال يده ورفع النقاب ، ومال اليها وقبلها قبلة طويلة حارة ، واذا بشفيق يلتفت الى نبيلة ويهمس : عقبالنا •

والتقى حسـين بزوجته ، فقالت له والدموع تترقرق فى عينيها :

ــ مبروك •

فقال لها :

ـ تعبان ، متهيألى انى ح أقع •

ـ خلاص • طالعين ع البوفيه ، وبعدها ح ينزلوا على طول •

ووضع جلال يده فى يد أحلام وسارا والزغاريد تدوى فى المكان •

وتدفق المدعوون الى السطح ، حيث الطعام ، ولم يبق فى الشقة الا الآثار ، وحسين منهار على مقعد من المقاعد الذهبية وزوجته الى جواره تقول له :

ـ ياللا نطلع • الناس تقول ايه !

ـ مش قادر • تعبت خالص • عايز أنام •

ـ قوم •• قوم • كلها ساعة • وتنام بعدها زى ما انت عايز •

ـ اسبقينى • ح استريح دقيقتين وح حصلك •

وقامت أم العروسة ، وانطلقت الى السطح ، وبقى الأب مضطجعا ، وحن جسمه الى الراحة ، فأغمض عينيه ، ومس أذنيه حفيف ثوب ، ووقع أقدام ، ففتح عينيه ونظر ، فاذا بشفيق مقبل وفى يده نبيلة •

ورفع رأسه وراح ينقل بصره بينهما وهو مكدود ، وتقدم شفيق خطوة ، وراح يجمع أطراف شجاعته ، ثم قال :

ـ أنا جاى يا عمى أطلب منك نبيله •

فقال الأب دون تفكير :

ــ روح الله يبارك لك فيها •

والتفت شفيق الى نبيلة ، ومد يده وقبض على يدها . ثم انصرفا مهرولين ، وقد اتسمت حركاتهما بالخفة والسرور •

وتمدد الأب فى المقعد الوثير ، وغفا قليلا ، ولكن سرعان ما استيقظ على دوى الزغاريد فهب من نومه ، وبدأ فكره يعمل ، فتذكر ما قاله شفيق : فصاح :

ــ شفيق •• نبيله • الله •• دا خطبها منى وأنا وافقت • ايه العمل دلوقت • ح أجهز تانى ؟ ! ازاى ؟ ومنين ؟ !

وراح يهرول صوب باب الشقة وهو ينادى :

ــ يا زينب •• يا أم العروسه •• تعالى شوفى اللى جرى •• مش ح نستريح •• المولد ده مش ح ينفض •• مش ح ينفض أبدا •

وكان قد بلغ باب الشقة الخارجى ، فوقع بصره على أحلام وجلال وهما هابطان ، وشفيق ونبيلة خلفهما ، والرجال والنساء والأطفال يتدفقون خلفهما فى الدرج ، والزغاريد تجلجل والأصوات تتداخل فوقف ينظر وقد فغر فاه فى دهش ، ثم سقط مغشيا عليه •

رقم الايداع ٢٥٥٧

الترقيم الدولى ٠ ــ ٢٢٣ ــ ٣١٦ ــ ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه